الباب الأول

اليهـــوديـــة

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

مقدمة تاريخية

يدعي اليهود أن أرض كنعان (الشام وفلسطين) أرض ميعادهم التي وعدهم الرب بها، ولكن أرض العراق يعدونها أرض أجدادهم قديماً، ثم أرض سبيهم بعد هدم هيكلهم وخراب دولتهم، فنهر دجلة والفرات تذكرهما التوراة كنهر الفردوس، وتذكر التوراة شنعار وبين النهرين وبابل وآشور بوصفها مدنًا، لهم ذكريات وأحداث فيها منذ القدم.

يرى بعض اليهود أن أصلهم من قبيلة تارح القبلية الآكدية، التي نزحت من جنوب العراق (مملكة آكد) إلى بلاد كنعان بقيادة تارح صانع الأصنام ورئيس القبيلة، ومعه ابنه إبراهيم، حيث ما لبث الأب تارح أن توفي، فأخذ إبراهيم القيادة[1] مكانه، فعبر بهم الفرات متجهًا إلى الشام، فسموا بالعبريين.

وأخذوا من البابليين شرائع وعادات كثيرة، منها قصة (الخلق والتكوين) والطوفان وتقديس يوم السبت وحياة ما بعد القبر، وذلك لتشابه ما ذكر مع شرائع حمورابي والبابليين (ملحمة كلكامش)، وما ذكر في التوراة، ويختلفون في أمور كثيرة أخصها العبرانيون الأوائل، كانوا يؤمنون بإله واحد.

---

(١) يوسف غنيمة: نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ص٦١. بيروت ٢٠٠٦م. والمؤلف من طلبة مدرسة الإلياتس الإسرائيلية الفرنسية، التي أُسست في بغداد سنة ١٨٦٥م. وعمل وزيرًا للدولة العراقية بعد تأسيسها.

ويحسن بنا أن نلقي الضوء أكثر على اليهود وبلاد العرب بوصفها أن كلاً من الشعبين من الشعوب السامية.

العبريون ينحدرون من العرق السامي الذي ينتسب إليه الآشوريون العرب، وكانت بلاد العرب الوسطى والشمالية مهد الساميين، وقد هاجر فريق منهم إلى الشمال في بلاد بابل، حيث كان السلطان لحضارة السومريين والأكاديين[1].

أصاب أرض كنعان جدب، ولم تعد وفيرة الخير لإبراهيم وأهله وأنعامه، فسار إبراهيم تجاه الجنوب إلى مصر، ولكن فرعون طمع في سارة زوجة إبراهيم، فقفل إبراهيم راجعًا إلى أرض كنعان ومعه ثراؤه ومعه كذلك هاجر، وهي جارية مصرية أهداها فرعون إلى سارة. وقد دخل إبراهيم بهاجر، وأنجب منها ابنه الأول إسماعيل، الذي نشأ في مكة المكرمة، وصاهر قبيلة جرهم سادة مكة المكرمة.

وبعد مولد إسماعيل بنحو أربع عشرة سنة ولدت سارة لإبراهيم ابنه إسحاق، وترك إبراهيم ابنه إسماعيل بالحجاز، وابنه الأصغر إسحاق بأرض كنعان، وأنجب ولدين هما عيسو ويعقوب، المسمى إسرائيل، وإليه ينسب بنو إسرائيل، وتزوج يعقوب بنتي خاله، وهما لية وراحيل، وتزوج أيضًا من زلفة جارية لية ومن بلهة جارية راحيل، وأعقب منهن اثني عشر ابنًا[2].

حدث أن تأزمت العلاقات بين المصريين وبني إسرائيل الذين هاجروا إلى مصر، وقرر المصريون أن عزلة بني إسرائيل هي مصدر خطر، وأن تكاثر رجالهم يهدد الدولة، فاستقر الرأي على التخلص من الأطفال الذكور

(١) د. أحمد شلبي: اليهودية، ص٣١.

(٢) د. أحمد شلبي: اليهودية، ص٣٥ - ٣٦.

واستبقاء الإناث. وفي هذه الأجواء لم يجد موسى عليه السلام بدًّا من الهرب، واتجه في هربه إلى أرض مدين، مقر نبي الله شعيب، وهناك تزوج ابنته، وكان صداقها خدمته لأبيها ثماني حجج، وبعد أن أتم موسى عليه السلام الميقات، فكر في الرجوع إلى مصر آملاً أن يكون القوم هناك قد نسوا خطيئته (قتله الفرعوني خصم اليهودي[1])، وسار مع زوجته في طريق العودة حتى وصل طور سيناء، وهناك خيل إليه أنه ضل الطريق، فوقف مترددًا، ولكنه سرعان ما أبصر نارًا تشتعل في جانب الطور الأيمن، وبذلك بدأت رسالة موسى عليه السلام. واتجه موسى عليه السلام يطلب من فرعون أن يطلق معه شعبه «بني إسرائيل»، ليعبدوا إلههم «يهوه» في البرية، ولهذا دبر موسى عليه السلام أن يخرج بهم سرًّا. وخرج بنو إسرائيل بما سلبوه من المصريين، وبلغوا شاطئ خليج السويس، وذلك نحو سنة ١٢١٣ق. م، وفرعون الاضطهاد هو رمسيس الثاني، وفرعون الخروج هو منفتاح الذي خلفه.

تولى يوشع بن نون قيادة بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام، وكان يوشع أحد أصفياء موسى عليه السلام، وقد اختاره موسى عليه السلام قبل موته لقيادة بني إسرائيل، وهو الذي استطاع اليهود في عهده دخول الأرض الموعودة[2].

عهد الانقسام وزوال ملك بني إسرائيل

أراد رحبعام أن يحارب أخاه، ولكن النبي شمعيا نصحه بالعدول عن الحرب، وهكذا انقسمت المملكة إلى مملكتين: جنوبية عاصمتها أورشليم واسمها مملكة يهوذا، وشمالية عاصمتها نابلس واسمها إسرائيل. وكان

(١) حيث أشار القرآن الكريم: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ (القصص:١٥).
(٢) د. أحمد شلبي: اليهودية، ص٤٢ - ٤٤، ٤٩ - ٥٠.

تقسيم الدولة في الحقيقة انتصارًا عمليًّا لفرعون مصر، ولم يكتفِ شيشنق بهذا، بل غزا فلسطين، وصعد على أورشليم،ونهبها، وبسط سيطرته على دولة يهوذا، ثم على دولة إسرائيل، وامتد سلطانه على الجليل، تعرضت هاتان الدولتان أيضًا إلى الضغط من جهة الشمال، للقضاء على القوة اليهودية الدخيلة في المنطقة من جهة، وللمنافسة بين العراق ومصر من جهة أخرى.

يصف Wells تاريخ المملكتين بأنه قصة ملوك همج يحكمون شعبًا من الهمج، حتى إذا وافت سنة ٧٢١ ق. م محا الأسر الآشوري مملكة إسرائيل من الوجود، وزال شعبها من التاريخ زوالاً تامًّا، وظلت مملكة يهوذا تكافح، حتى أسقطها البابليون سنة ٥٨٦ ق. م.

إن تراث اليهود وتعاليمهم الدينية من خلال كتبهم، وتعاليمهم الموروثة من توراة وتلمود وميشنا وجيمارا كلها مختلفة فيما بينها، بل متناقضة أحيانًا، والسبب في ذلك أن هذه التعاليم جمعت ودونت في أزمان مختلفة، تمتد إلى ألفي سنة تقريبًا، فمن الإله الأول يهوه الصنم أو الوثن إلى الخالق الواحد الرب. ومن التعاليم الوثنية التي تقدس «الحية» و«القرن» و«الأجداد» بوصفهم معبودين إلى التعاليم التي تنزه الرب عن التجسيم والشرك.

وعند تدوينها في تلك الأزمان المختلفة، فإنها كانت عرضة للمؤثرات الفارسية الزرادشتية وتعاليم الفلسفة اليونانية والمسيحية، وحتى تعاليم الإسلام تأثر بها كثير من اليهود الذين دونوا تعاليمهم في العصر العباسي وفي ظل الدولة الأيوبية كالرابان ميمون وغيره[١].

(١) راجع تفاصيل ذلك عند حسن ظاظا: المصدر السابق، ص١٣٠ - ١٤٠.

واليهودية دين ومعتقد، ولا تمت إلى جنس بعينه، وقد دخل في اليهودية أجناس مختلفة من البشر، خاصة بعد تدوين العهد القديم (التوراة)، واستمر التبشير باليهودية من قبل رجال الدين اليهود في أصقاع مختلفة من الأرض، ولم يوقف التبشير هذا إلا في القرن الثالث عشر الميلادي على يد حاخامات اليهود، الذين ارتأوا قصرها على فئات معينة، لدواعي التعصب والاستحواذ على الملة.

تم سقوط مملكة إسرائيل على يد سرجون الثاني ملك آشور، الذي اعتقل هوشع بن أيله آخر ملوكها، وقد ثار لذلك ملك بابل نبوخذ نصر (بختنصر)، الذي آل إليه السلطان على آشور، وزحف على فلسطين، فهزم فرعون مصر، واستعاد مملكة إسرائيل، واحتل مملكة يهوذا، وقتل صدقيا ابن يواقيم آخر ملوك يهوذا، ونهب أورشليم، ودمرها، وسبى أهلها إلى بابل، ثم عاد بعضهم إلى بيت المقدس في عهد قورش[1].

*****

(١) د. أحمد شلبي: اليهودية، ص٦١ - ٦٤، ٦٩.

عقيدة بني إسرائيل

عبادة العجل

لم يستطع موسى عليه السلام أن يمنع قطيعه من عبادة العجل الذهبي؛ لأن عبادة العجول كانت لا تزال حية في ذاكرتهم منذ كانوا في مصر، وتقرر التوراة قصة العجل الذي عبده اليهود، فعبدوه بعد أن تأخر موسى عليه السلام في العودة إليهم.

وقد بقيت عبادة العجل تتجدد في حياة بني إسرائيل من حين إلى حين، فقد عمل يربعام بن سليمان عجلي ذهب؛ ليعبدهما أتباعه حتى لا يحتاجوا إلى الذهاب إلى الهيكل، وقد عبد أهاب ملك إسرائيل الأبقار بعد سليمان بقرن واحد.

ويروي العهد القديم كذلك أن موسى عليه السلام عمل حية من نحاس، وأن بني إسرائيل عبدوها بعد ذلك، وكانت الأفعى تعد حيوانًا مقدسًا؛ لأنها -عندهم- تمثل الحكمة والدهاء والانسياب[1].

عدم جواز ذكر اسم الإله

لأن موسى عليه السلام علّم بني إسرائيل أن يتّقوا ذكره توقيرًا له، وأن يكتفوا بالإشارة إليه[2].

التجسيم والتشبيه

ترسم أسفار التوراة الخمسة صورة بشرية محضة للإله، فمن أوصاف يهوه فيها: أنه كان يسير أمام جماعة بني إسرائيل في عمود سحاب.

(١) د. أحمد شلبي: اليهودية، ص ١٥١ - ١٥٢.

(٢) د. أحمد شلبي: اليهودية، ص١٥٣.

ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف، وكذات السماء في النقاوة، ولكنه لم يمد يده إلى أشرف بني إسرائيل.

ويهوه لا يدعي أنه عالم، ويطلب من بني إسرائيل أن يرشدوه، ولذلك فإنه يطلب منهم أن يميزوا بيوتهم بدماء الكباش المضحاة، بأن يجعلوا الدم على القائمتين والعتبة العليا في البيوت[1].

صفات أخرى لمعبودهم

والإله يهوه يأمر بالسرقة، «تطلب كل امرأة منهم من جارتها من نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب». ويهوه إله قاس مدمر متعصب لشعبه، ويأمر المحاربين: «لا تقطع لهم عهدًا، ولا تشفق بهم».

تروي التوراة أن موسى عليه السلام راجع ربه، وقال له: ارجع عن حمّو غضبك، واندم على الشر بشعبك، ماذا يقول عنك الناس إذا سمعوا بفعلتك؟

فندم الرب على الشر الذي قال: إنه يفعله بشعبه[2].

ويروى أن بسبب جهود عزرا في إعادة بناء الهيكل، سمى اليهود عزرا: ابن الله[3].

الآخرة والبعث

تهتم اليهودية المحرفة بالأعمال ولا تعني بالإيمان، ولما كانت اليهودية دين أعمال لا دين إيمان، ولعلهم أخذوا الفكرة عن الفرس، فهي لم يرد فيها شيء عن البعث واليوم الآخر، وليس هناك اعتقاد بعد ذلك في بعث وجنة ونار.

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص١٥٤ - ١٥٥.

(٢) أحمد شلبي: اليهودية، ص١٥٦ - ١٥٩.

(٣) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٣٣.

واحتل الفرس دولتي اليهود، وسمح قورش ملك الفرس لليهود بالعودة إلى فلسطين وإعادة بنـاء معابدهم، وكانت هذه العلاقة الطيبة بين الفرس وبين اليهود داعية لأن يدرس اليهود الديانة الزرادشتية ديانة الفرس.

ومـن تعاليم هذه الديانـة اقتبس اليهود الاعتقـاد في حياة أخرى بعد الموت، ولأول مرة عرفوا أيضًا أن هناك جنة ونارًا[1].

التابوت والهيكل

وتذكـر التـوراة أن موسى عليه السلام نزل من الجبل ولوحـا الشهادة في يده، لوحـان مكتوبان علـى جانبيهما، من هنا، ومن هنا كانـا مكتوبين، واللوحان هما صنعة الله، والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين.

فبنى سليمان البيت، وأكمله، وبنى حيطان البيت من الداخل، بأضلاع أرز مـن أرض البيت إلى حيطان السقف، وغشـاه من داخل بخشب، وفرش أرضـ البيـت بأخشاب سرو، وبنى عشرين ذراعًا مـن مؤخر البيت بأضلاع أرز مـن الأرض إلى الحيطـان، وبنى داخله المحـراب، أي قدس الأقداس.. وهيأ محرابًا في وسط البيت من داخل ليضع هناك تابوت عهد الرب، وأقام تمثالين لملكين يحرسان قدس الأقداس.

ولأن موسـى عليه السلام حرَّم عليهم التصوير والنحت؛ حتى لا يحدثوا أشياء تناظر ما خلقه الله.

ودخـول الهيكل لم يكن مباحًا للجميع، وإنما كان مقصورًا على القسس، أما القدس الأقداس (المحراب) فلا يفتح إلا مرة في العام، ولا يدخله إلا كبار القسس.

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص١٧٢ - ١٧٣.

وأُعِدَّ الهيكل مقر إلههم، وكان تجديد الهيكل وتجسيمه وزخرفته من دواعي استجابتهم لهذا المعبود الذي طالما نفروا منه، وأصبح الهيكل في الواقع رمزًا لكل ما كان يدور في خلدهم من معبودات، بعيدًا عن الأحجار والأصنام، وهو مسكن الأرواح، وبه المذبح، حيث رأس العجل[1].

الكهنة والقرابين

وليس الخلاف الذي حدث بين عيسى عليه السلام وكهنة الهيكل إلا حلقة من حلقات خلافات مماثلة بين الأنبياء والكهنة.

ولم تكن القرابين مقبولة إلا إذا قدمت على يد أحد الكهنة، وكانوا معفوين من الضرائب، وتقدم لهم العشور من نتاج الضأن، ويأخذون ما يبقى في الهيكل من القرابين.

وقد قضى المجلس بإعدام عيسى، ولكنه احتاج إلى موافقة هذا الحاكم، فالكاهن الأعظم استمتع بسلطة عظيمة، ليس فقط في الأمور الدينية، ولكن في الأمور المادية أيضًا. وصار الكاهن الأعظم ملكًا متوجًا.

وكان الكاهن الأعظم يختار من أعظم فروع أسرة ليفي، أما القرابين فكانت الضحايا البشرية، وكانت تقدم مع القرابين الأخرى من الحيوان والثمار.

ثم اكتفت الآلهة بجزء من الإنسان، بدلاً من أن يُضحَّى بالإنسان كله، وكان هذا الجزء هو ما يقتطع في عملية الختان، وقد بقيت عملية الختان رمزًا للتضحية بالإنسان.

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص ١٦١، ١٧٥-١٧٩.

وهكذا وضع كهنــة اليهود أنفسهم بين الناس وبين الله، فلم تكن تقبل توبة ولا قرابين إلا إذا باركها الكاهن، فقد كان مفتاح السماء في يده[١].

الشعب المختار والمسيح المنتظر

يُــروى أن يهوه قطع وعدًا لإبراهيم بأن يفضــل الشعب اليهودي جميع الأجناس. «وقلت لكم ترثون أنتم أرضهم، وأنا أعطيكم إياها لترثوها، أرضًا تفيض لبنًا وعسلاً. أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب»[٢].

«وتكونــون لي قديسين لأني قدوس أنا الرب، وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي»[٣].

بل من محبة الرب إياكم، وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم.

وتم زواج بــين الله وبــين إسرائيل، وسجل عقد الــزواج بينهما، وكانت السماوات والأرض شهودًا لهذا العقد.

ومن ذلك كان ممنوعًا على غير اليهود أن يقبلوا في الجماعة اليهودية، وأن يدينوا بالولاء لرب بني إسرائيل.

ونتــج من طبيعة الاختيار عقيدة أخرى عنــد اليهود، هي عقيدة المسيح المنتظــر، فــإن اليهود وجدوا أنفسهــم لا خيرة البشر، كما زعمــوا، ولا صفوة الخلق، كما أملوا، بل لم يجدوا أنفسهم في نفس المكانة التي ينعم بها الآخرون، وإنمــا كانوا هدفًا للبلايــا والنكبات، ومن هنا اتجــه مفكروهم في عصورهم

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص ١٨١ - ١٨٥.
(٢) سفر اللاويين،٢٤.
(٣) سفر اللاويين،٢٦.

المتأخـرة إلى مخلص ومنقـذ ينتشلهم من هذه الوهـدة، ويضعهم في المكانة التي أرادوها، وأطلقوا على هذا المخلص «المسيح المنتظر»، ووصفوه بأنه رسول السماء. وهو إنسان سماوي، ويبقى في السماء، حتى تحين ساعة إرساله.

وكلمة المسيح معناها المسوح «بزيت البركة».

ويعتقـدون أنه سيجـيء ليعيد مجـد إسرائيل، ويجمع أشتـات اليهود بفلسطـين، ويجعل أحكام التوراة نافذة المفعول، ولكنهم أطلقوا كلمة المسيح على من يعاقب أعداءهم، وإن لم يكن من نسل داود.

إن فكرة المسيح برزت في الفكر اليهودي في وقت متأخر، فهي لم تظهر إلا بعد سقوط دولتهم وأسرهم في بابل، ثم خضوعهم إلى الفرس.

وهـذا دفع كثيرين من الباحثين إلى الاعتقاد بأن فكرة المنقذ المخلص مستعارة من الزرادشتية، التي كان الفرس يدينون بها.

وإن كان هنـاك أدلة على وجود فكرة المسيح قبل الأسر البابلي، ويتجه بعض الباحثين إلى القول: إن فكرة المهدي المنتظر عند الشيعة مستعارة من فكرة المسيح المنتظر عند اليهود.

وبالـغ اليهود في رسـم الصورة التي أرادوها للمسيـح، فالذئب يسالم الحمل، والعجل يداعب الأسد[1].

*****

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص ١٦٢، ١٨٦-١٩٥.

بعض عقائد اليهود كما وردت في التلمود

التلمود أسمى من التوراة

يعـدّ أكثر اليهود التلمـود كتابًا منزلاً، ويضعونـه في منزلة التوراة، بل يضعـون هـذه الروايات الشفويـة في منزلة أسمـى من التـوراة، ولأن أقوال الحاخامات هي قول الله الحـي، وأن الله يستشير الحاخامات عندما توجد مسألـة معضلـة لا يمكـن حلها في السمـاء، وإذا خالـف أحد اليهـود أقوال الحاخامـات يعاقب أشد العقـاب؛ لأن الذي يخالـف شريعة موسى عليه السلام قد تغفر له خطيئته، أما من يخالف التلمود فيعاقب بالقتل.

البداء

ليسـت العصمة من صفات الله في رأي التلمـود؛ لأنه غضب مرة على بنـي إسرائيل، فاستولى عليه الطيش، فحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية، ولكنـه ندم بعد ذلك بعد أن هدأ غضبه، ولم ينفذ قسمه؛ لأنه عرف أنه فعل فعلاً ضد العدالة.

الحلول والتناسخ

أرواح اليهود جزء من الله، كما أن الابن جزء من أبيه، ويقول التلمود بالتناسخ، وهو فكر تسرب لبابل من الهند، وأخذه حاخامات بابل من المجتمع البابلي.

منزلة اليهود أعلى من الملائكة

الإسرائيلي يعد عند الله أكثر من الملائكة، واليهودي جزء من الله.

جواز النفاق والسرقة والغش والكذب والربا مع غير اليهودي

يجيـز التلمود استعمال النفاق مع غـير اليهود، واليهود يُعدّون مالكين لـكل مـا في الأرض من ثراء بالنيابـة عن الإله، فيجوز لهـم أن يسرقوا مال غـير اليهود، ويجيز التلمود استعمال الغش مع غير اليهودي في حال البيع أو الشراء، وأن يحلف له أيمانًا كاذبة، ألاّ يرد الأشياء المفقودة، ويجيز التلمود كذلـك استعمال الربا مع غير اليهود، بـل جاء فيه «غير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلا بالربا».

أرواح غير اليهود

جـاء في التلمـود «محرم على اليهودي أن ينجي أحـدًا من الأميين من هلاك، أو يخرجه من حفرة يقع فيها».

المرأة

إتيـان زوجـات الأجانب (غـير اليهود) جائـز، فلا يرتكـب اليهودي محرمًـا إذا أتـى امرأة مسيحيـة، بل لهم الحق كذلـك في اغتصاب النساء غير المؤمنات أي غير اليهوديات.

يوم الغفران

اليمـين التـي يقسم بها اليهودي في معاملاته مـع باقي الشعوب لا تُعدّ يمينًـا، وبخاصة إذا كانت اليمين إجبارية، كأن تكـون أمام المحاكم أو أمام خصـم قـوي. ويعين التلمـود يومًا كل مـدة يسمى يوم الغفـران العام، وفيه يمحى كل ما ارتكبه اليهود من ذنوب، ومن ضمنها الأيمان الزور[1].

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٤٤-٢٤٩.

الفرق في اليهودية

١ - الفريسيون: ومعناها المنعزلون والمنشقون، ويعتقد الفريسيون في البعث وقيامة الأموات والملائكة والعالم الآخر، وهم يعتمدون التلمود، ولضمان تقديس اليهود للتلمود أعلن الفريسيون أن للحاخامات سلطة عليا، وأن أقوالهم صادرة عن الله، وأن مخافتهم هي مخافة الله.

٢ - الصدوقيون: وهم ينكرون البعث والحياة الأخرى والحساب والجنة والنار، ويرون أن جزاء الإنسان يتم في الدنيا، وينكرون كذلك التعاليم الشفوية (التلمود) وحتى التوراة، لا يرون أنها مقدسة قدسية مطلقة، وينكرون الخلود الفردي، كما ينكرون وجود الملائكة والشياطين، وينكرون كذلك المسيح المنتظر، ولا يترقبونه.

٣ - القراؤون: وهم لا يعترفون إلا بالعهد القديم كتابًا مقدسًا، من ثم لا يعترفون بالتلمود، وهم يقولون بالاجتهاد.

ومن فرقهم أيضًا الكتبة والمعتصمون، وغيرهم[١].

*****

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص ١٩٦-٢٠٢.

جذور الفكر اليهودي

يـرى ول ديورانـت: أن أساطير الجزيـرة العربية كانـت معينًا غزيرًا لأسفـار العهد القديم، فمن هذه الأساطير أخذت قصص الخلق والطوفان، والمرجح أن اليهود أخذوها من مصادر سامية سومرية قديمة[١].

ويعـد الفكر المصـري أيضًا مصدرًا رئيسًا لأسفـار العهد القديم، ومن مصادره كذلـك الفكر البابلي الذي يروي كلاًّ من قصتي الخلق والطوفان في نصوص ترجع إلى زمن يسبق عودة اليهود إلى فلسطين، كما أن ترانيم التوبة البابليـة قـد اقتبست في بعض الأسفـار. وكان البابليون يؤمنـون بأن الإنسان تمـرد على قسمة الموت، فبحث عن ثمرة البقـاء في السماء، وخدعه إله ماكر عن بغيته، فناوله بديلاً منها ثمرة تشبهها في ظاهرها، ولكنها ثمرة الفناء.

علـى أن أهم مصـدر اعتمدت عليه أسفـار العهد القـديم هو تشريع حمورابـي، الـذي يرجع تاريخـه إلى نحـو ١٩٠٠ ق. م، وهنـاك شبه شديد بينـه وبـين القوانين اليهوديـة، ويذهب كثير مـن الباحثين إلـى أن القوانين الإسرائيليـة مأخـوذة منه، ومن ذلك قانـون المشابهة الذي يقـول مثلاً: إن اليـد التي تخطـئ، أو تسرق تعاقب بالقطع، وأن السلعـة بالسلعة، والسفينة بالسفينة، والثور بالثور، والضأن بالضأن...[٢].

تحريف العهد القديم

تبرئـة بنـي إسرائيل من العيـوب وتلويث سواهم مـن الشعوب، فأحد ابنـي آدم كان ضـالاً، والآخـر كان مهتديًا ينحدر من بنـي إسرائيل[٣]. من الكتب المشمولة في العهد القديم «الجامعة»[٤].

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٣٥.
(٢) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٣٦-٢٣٣.
(٣) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٣٨.
(٤) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٠٩.

بعض تشريعات اليهود

بعض تشريعات التوراة

- إذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعه، فإنه يقتل، بالحجارة يرجمونه دمه عليه.
- من مس ميتًا ميتة إنسان ما، يكون نجسًا سبعة أيام، وإذا مات إنسان في خيمة فكل من دخل الخيمة وكل من كان في الخيمة يكون نجسًا سبعة أيام، وكل إناء مفتوح ليس عليه سداد بعصابة فإنه نجس.
- إذا نذر رجل نذرًا للرب، أو أقسم قسمًا أن يلزم نفسه بلازم، فلا ينقض كلامه.
- على فم شاهدين أو على فم ثلاثة شهود يقوم الأمر[1].

بعض تشريعات التلمود

الاعتراف والتطهير:

الهبات والقرابين هي الوسيلة للتكفير عن الخطايا، على أن تقدم للكهنة بعد الاعتراف الكامل بما ارتكب الإنسان من إثم، ومما يفعله الكاهن أن يأخذ ماءً مقدسًا في إناء خزف، ويتلو عليه ترانيم وأدعية.

الرق

يبيع الفقير نفسه للغني، أو يقدم المدين نفسه للدائن، حتى يوفي له الثمن، ويبقى عبدًا له ست سنين، ثم يتحرر. وأباحت التوراة للعبري أن يبيع بنته، فتكون أمة للعبري الذي يشتريها. وقد نص العهد القديم على «حين

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٧١-٢٧٢.

تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعِها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح، وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويستعبد لك».

الختان

كان الختان سنة شائعة عند المصريين الأقدمين، وكان عندهم للوقاية الصحية من الأقذار التي تتعرض لها الأعضاء التناسلية، وكان يجري للذكر والأنثى بصورة بسيطة.

الميراث

وهو للولد الذكر، وللبكر حظ اثنين من إخوته، وإذا لم يكن للميت ولد ذكر فميراثه لابن ابنه، وإن لم يوجد، فينتقل إلى البنت، فأولادها. ويرى آخرون أن يكون للولد سهمان وللبنت سهم، وعند اختلاف الدين يرث اليهودي أقاربه غير اليهود، ولا يرث الأقارب غير اليهود اليهودي.

لا ترث المرأة زوجها، وثروتها لزوجها، ومنه إلى ورثته.

النكاح

من بلغ العشرين، ولم يتزوج فقد استحق اللعنة، وتعدد الزوجات جائز شرعاً من دون حد، وحدد الربانيون الزوجات بأربع، وأطلقه القراؤون. ولا يجيزون زواج اليهودي أو اليهودية من غير اليهود. ولا تجعل اليهودية الرضاعة سببًا للتحريم.

والزواج في اليهودية صفقة شراء، تعد المرأة بها مملوكة تشترى من أبيها، فيكون زوجها سيدها المطلق. والمرأة المتزوجة كالقاصر والصبي

والمجنــون لا يجوز لها البيع ولا الشراء وجميــع مالها ملك لزوجها، ولا تعفى من الغزل، ولزوجها أن يرغمها عليه؛ لأن البطالة تقود إلى الفساد[1].

بعض الواجبات الدينية

زيارة بيت المقدس

يتحتم على كل يهودي رشيد أن يزور بيت المقدس مرتين في العام.

الهلال الجديد

كان الذي يراه أولاً يسارع إلى بيت المقدس؛ ليخبر به الكهنة والرؤساء، وينفخ في الأبواق إعلانًا بالشهر الجديد، وتشعل النيران على جبال الزيتون، وعندما يراها سكان التلال البعيدة يشعلون هم أيضًا النيران على تلالهم.

السبت

لعــل تسمية هذا اليوم، بل العادة نفسها قــد جاءت من البابليين، فقد كان هؤلاء يطلقون على أيام الصوم وأيام الدعاء شبتو[2]. وسنفصل في هذا البحــث الأفــكار اليهودية، وما ورد من أشباهها عنــد الشيعة في مصادرهم المعتمدة في المذهب.

*****

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٧١-٢٨٠.

(٢) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٨٠-٢٨٢.

الديانة اليهودية الأولى كانت عربية
(رأي فاضل الربيعي)[1]

الادعـاء في كون اليهودية ديانة عربية الأصـل أمر جدير بالتمحيص، والربيعـي يعرض دليله الأول مـن الاصطلاح اللغوي والتاريخي: (قوم هود) الـوارد في القـرآن الكريم. وهـم في الأحقاف (حضرمـوت) في اليمن، وهو موطن عاد وثمود.

كما يعضد هذا الـرأي القول: إن (هود) هو نفسه ما يعرف باليهودية بـ (يهوذا) السبط الأكبر في بني إسرائيل. وهذا يعني أن الإسرائيليين عرب يمانيون من نسل عاد وثمود.

كما ترى وجهة النظر هذه أن أول مملكة لبني إسرائيل كانت في شرق صنعاء، ثم زحفت اليهودية صوب نجران إلى أن اصطدمت بها المسيحية[2]، ويعرض هذا الرأي أن قبيلة حمير اليمنية كانت على دين اليهودية، كما تنقل روايـات الإخباريـين، وأن ملك اليمن تبان أسعد كرب قـام بحملة في قبيلته التابعـة لغزو مكة، ولكنه فشل، واعتنق النصرانية بدل الوثنية، ولكنه حينما عاد لموطنه في اليمن أبت عليه حمير إلا أن يترك النصرانية، ويعود إلى دين أجداده؟ ما هو؟ (يفترض اليهودية)[3].

وظهـور اليهودية في الـرأي السالف كان في ظل العقيـدة الإبراهيمية والموسوية الداعية إلى التوحيد. وهذا ما يعلل انتشار اليهودية في اليمن منذ القدم، وخاصة بين قبيلة حمير.

(١) فاضل الربيعي، أديب ومفكر وسياسي عراقي.
(٢) الربيعي: المصدر السابق، ص ٦٧، عن كتاب فلسطين المتخيلة.
(٣) ابن هشام: السيرة.

ويفترض بعض الدارسين أن نجـران هي الواردة في التوراة باسم رَبَّة التـي كانت على الوثنية، وهاجمهـا داود ملك يهود اليمن نحو سنة ٩٢٠ قبل الميلاد، وفي هذا العهد يفترض انتشار اليهودية في اليمن، وخاصة بين قبيلة حمير. ولكـن اليهودية بدأت بالتراجع والانقسام منذ هجوم الآشوريين على الجبال اليهودية المعروفة بسرو حمير، وقد نحت التوراة باللائمة على بعض اليهـود هؤلاء المتأثرين بالوثنية عبادتهم للنـار، خاصة أولئك اليهود الذين في جبل هنوم[١].

وقد حاول الملك الحميري ذو نواس إعادة قوة الديانة اليهودية بوصفها ديانـة أجداده، فأسقط دولة السبئيـين، ثم قام بالهجوم على نجران موطن النصرانيـة العربية، وقام بحرقهـا، وحرق رجال الدين في أخدود أشار إليه القرآن الكريم. وتذكر المصادر أن الشاعر أعشى همدان قد زار نجران بعد الحـرق، وقـال قصيدة طمأن بها الرهبان، داعيا لهـم أن يتجنبوا (الحرب مع صهيون).

يذكر فاضل الربيعي أن نجران كانت سابقاً تدعى (الربة)، وهي التي هاجمهـا داود منطلقًـا من مدينـة أوشليم اليمنية، التي تظهـر تسميتها في شعر أعشى همدان بأورشليم[٢].

ويرى الربيعي أن اليهودية اليمنية كانت هي الحاضرة في قتال الحملة المسيحيـة الحبشية، التي قادها أرياط سنـة ٥٢٥م، يساعده في ذلك أبرهة الـذي توجه بعدئذ لاحتـلال مكة. وفي المعركـة المذكورة انهـزم ملك اليمن

(١) الربيعي: المصدر السابق، ص٧٣.
(٢) المصدر السابق، ص٣٠٣ وص٣٣٧.

اليهـودي وذو نواس الحمـيري[١]. ولكـن بعـد أن تدخل الفرس، كما يرى الربيعي، وانتصروا لليمنيين اليهود ضد المسيحية البيزنطية.

تكشـف الأساطير التي نقلهـا الإخباريون العرب عن صـراع سياسي بين العـرب اللخميين وبين العـرب التنوخيين على ملك الحـيرة. وتذكر الأخبار أن الفرس هم الذين ساعدوا عمرو بن عدي؛ للاستيلاء على عرش الحيرة وطرد جذيمة بن الأبرش صاحب (الأبراشية) النصرانية الموالية للدولة البيزنطية[٢]. ويرى فاضل الربيعي أن قبيلة لخم اليمنية كانت يهودية عند هجرتها من اليمن إلـى الحـيرة، ثم تحولت إلـى النصرانية، بينما بقيت قبيلـة أسد في هذه المدة علـى الوثنية وعبادة الكواكب (عبادة الغرقدان). أما التنوخيون المهاجرون من اليمن فهم الآخرون قد أسسوا دولة الغساسنة في الشام، واللخميون والتنوخيون أولاد عم، هاجروا بعد انهيار سد مأرب، كما تذكر الروايات[٣].

إن الحيرة اشتهـرت بنصرانيتها النسطورية الموالـية للفرس عمومًا، بينمـا مذهب اليعاقبة المنتشـر في حلب والموصل وديار ربيعة وحمص وحماة كان على النصرانية الموالية لبيزنطة.

ولعبت نصرانية نجران العربية في انتقال كثير من القبائل العربية إلى النصرانية، ذكر الإخباريون منهم قبيلة مذحج الذين كانوا سادات نجران، كمـا تنصر من ربيعـة بنو تغلب، وتنصـر من اليمن كثير مـن طيء وبهراء وسليح وتنوخ وغسان ولخم، ينقل كل ذلك فاضل الربيعي، ويضيف أن حمير كانـت يهوديـة خالصة، كما كانـت اليهودية في بني كنانـة وبني الحارث بن كعب وكندة، كما تؤكد ذلك مصادر الإخباريين العرب[٤].

(١) المصدر السابق، ص٣٠٦.

(٢) الربيعي: المصدر السابق، ص١٨٨.

(٣) الربيعي: المصدر السابق، ص١٨٨

(٤) الربيعي: المصدر السابق، ص ٢٩٢.

نقد رأي فاضل الربيعي السالف

١ - إن الـرأي المتفق عليه بين الباحثين منذ القـدم: أن اليهودية ديانة لبني إسرائيـل، وهـم من العبرانيـين الساميـين، والعرب شعـب يختلف في نشأتـه عن الشعب اليهـودي الإسرائيلي، كما هو معلـوم على ما قدمنا مـن تفصيل. وأدلة الربيعـي السالفة على كون اليهوديـة عربية الأصل أدلة غير مباشـرة، أكثرها استنتاجية بتعسف، لا تقوى على نفي الأدلة المضادة والمعروفة تاريخيًّا.

٢ - اليهودية، كما قدمنا دين وعقيدة، وليست عنصرًا لشعب بعينه من حيث الأصل، وإن كانت قد تأصلت لبني إسرائيل اليهود. وكون اليهودية ديانة انتشرت بين العرب لا يستدعي كونها ومنشأها، كما يذهب الربيعي إلى أنها ديانة عربية.

٣ - إذا قيـل: إن ديانـة العرب القدمـاء كانت عبادة الأوثـان، فهذا صحيح علـى العموم، علـى الرغم من أن منهم النصـارى واليهود،.. وهم قلة. فـلا يمكن تعميم القلة علـى الكثرة، فاليهودية منـذ القدم كانت ديانة استثنائية بين العرب عن عبادة الأوثان.

٤ - رأي الربيعي هذا سبقه إليه آخرون، ربما أنهم أصحاب أغراض سياسية، فقـد طلت علينا منذ زمن بعضـ المؤلفات الأجنبيـة بالألمانية وغيرها، وتلقفهـا آخرون من العرب أمثال كمـال الصليبي، ونشرها في كثير من مؤلفاتـه التي أشرت إلـى بعضها في هذا البحـث، والربيعي يحتاج إلى المزيد من البحث والتعمق في هذه القضية الشائكة.

٥ - إن الإخباريـين العرب الذيـن يوردون أسماء العـرب أو القبائل العربية التي اعتنقت اليهودية إنما يوردون ذلك على سبيل الاستثناء، ولو كانت

اليهودية عربية الأصل في منشئها لاختلف النقل، ولم يبلغنا عن أحد أنه ذكر مثلاً رجوع العربي الفلاني أو القبيلة الفلانية إلى ديانتها اليهودية القديمة مثلاً.

٦ - لو كانت اليهودية ديانة عربية الأصل لوجدت منذ القدم أن اليهودية تتبع العرب أينما حلوا في ديار العرب. والواقع يوضح أن اليهودية لم تكن يومًا دينًا عامًّا وشاملاً للعرب في أقطارهم، إنما عرفت منذ القدم بأنها ديانة الشراذم والقلة المنعزلة في أنحاء متفرقة، وبخلاف ذلك يصدق القول: إن الوثنية كانت الديانة العامة للعرب أينما وجدوا قديمًا.

٧ - إن اليهودية بوصفها دينًا لا تمثل أي خطر على العرب أو المسلمين، وقد تعايشوا مع هذه الديانة مدة طويلة، وتنحصر بعض أفكار اليهودية بالخطورة إذا ما تبناها العرب أو تأثروا بها، كما هو الحال في أثرها على بعض فرق الشيعة. ولكن الخطورة السياسية خاصة تتمثل في الصهيونية بوصفها حركة عنصرية ذات أهداف مخالفة للعدالة والحق والأخلاق، بما نرومه من السيطرة على مقدرات العالم، بدءًا بالإعلام، وانتهاءً بالاقتصاد والمال. وقد اتخذت الصهيونية الديانة اليهودية مطية لها وسلماً للوصول إلى أهدافها، وفي هذه الحدود نقيم رأي الدكتور فاضل الربيعي ومن سبقه من الباحثين في مقولتهم السالفة. ومآل الصهيونية مرتبط بوجود القوى العظمى وتعضيدها، فإذا انحسرت تلك القوى فإن اليهود في فلسطين سيكونون أمام خيارين: البعض سيهاجر إلى مكان آخر، ومن يريد البقاء سيندمج، ويتعايش مع العرب المسلمين في هذه المنطقة.

*****

موسى عليه السلام في رأي الصليبي[1]

يرى الصليبي أن بني إسرائيل العبرانيين كانوا في (مصرايم) في بيشة، قام من بينهم قائد لهم اسمه موسى عليه السلام، أخرجهم من مصرايم، وتاه بهم في البراري مدة أربعين سنة، ثم ورد بهم أرض كنعان جنوب الحجاز. وهنا التقوا مع بني يعقوب الآراميين من بني يهوذا، فاتحدوا، وكونوا شعب إسرائيل، ويرى الصليبي أن هذا الخروج الوارد في التوراة حدث في حدود ١٤٤٠ قبل الميلاد، ولم يكن خروجًا من مصر إلى سيناء وفلسطين؛ لعدم وجود أي إشارة أو دليل تاريخي في رأيه يدل على ذلك. ويرى أن الهيكل بناه سليمان في أورشليم جوار بلدة النماص بعسير. ويرى أن سليمان تولى الملك نحو ٤٧٦ قبل الميلاد، وبعد الخروج، وبعد أربعين سنة خلفه ابنه رحبعام، ويري الصليبي أن شخصية موسى عليه السلام اختلطت في التوراة بشخصية موسى عليه السلام آخر وهارون أخيه. كما أن هناك شخصية ثالثة تشير إليها التوراة، وكل من هذه الشخصيات مختلف عن الآخر زمنًا ومكانًا، وما ذلك إلا أن القبائل حينما اتحدت جعل كل منها يمجد جده الأول البطل المنقذ للشعب، فيضفي عليه الصفات والوقائع المترسخة في تاريخهم السحيق[2].

*****

(١) كمال الصليبي (١٩٢٩-٢٠١١) أستاذ جامعي ومؤرخ لبناني.

(٢) كمال الصليبي: خفايا التوراة. ص٢١٢.

نقد رأي كمال الصليبي السالف

١ - لا تتطابق خريطة التوراة (الفلسطينية) مع خريطة التوراة العسيرية المفترضة. وإن حصل بعض التطابق فإنما هو محض مصادفة.

٢ - يقوم الصليبي وغيره بتقريب اللفظ العبري إلى العربية بشكل قسري وبعيد عن التصديق، بل ربما مخالف للقواعد اللغوية في كلتا اللغتين.

٣ - يناقض الصليبي في طروحاته ما جاءت به الاكتشافات الآثارية، وأثبته علماء التاريخ من أسماء وممالك وتواريخ في فلسطين.

٤ - هناك كثير من الحقائق التي تشير إليها وثائق الشرق القديم المكتشفة، التي كانت محط دراسة الباحثين خلال القرنين الماضيين، ولكن تلك الحقائق والموروثات لا يأخذ بها الصليبي، بل يوثق مجرد حدسه المبني على اقتراب المبني لاسم المكان أو تشابهه.

٥ - يضرب الصليبي نتائج البحث والدراسة التي قام بها علماء الآثار وكتاب التاريخ القديم عرض الحائط، ويوثق فقط المروية التوراتية برغم تناقضها مع تلك الأبحاث، ومن المعلوم أن التوراة أجزاء كتبت في قرون مختلفة.

٦ - أصبح الصليبي في مشكلة حينما نقل مسرح التوراة من فلسطين إلى شبة الجزيرة العربية، حيث نقل الكثير من الأماكن والأحداث الواردة من التوراة عن مصر والعراق، وحين لا يسعفه الحال في إيجاد مثيل لها في جنوب شرق الجزيرة العربية[1].

٧ - كثير من مقولات الصليبي ومن تأثر به كفاضل الربيعي تتناقض مع ما ورد في القرآن الكريم حول أنبياء الله: إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام

(١) فراس السواح: الحدث التوراتي. ص١٨ - ٢٢.

وكذلك ما ورد عن بعض الأقوام البائدة إضافة لتناقضها مع ما استقر في الفكر الإسلامي العربي حول تلك الأماكن.

٨ - إن مجرد تشابه أسماء الأماكن أو الأشخاص لا ينهض وحده كدليل تاريخي بالشكل الذي تبناه الدكتور كمال الصليبي، ذلك أنه من الثابت تاريخيًّا وخاصة في المنطقة العربية أن القبائل والأقوام حين نزوحها من مواطنها الأصلية تقوم بإعطاء المسميات الأصلية للأماكن الجديدة، وأقرب مثال على ذلك هجرة شمر من شمال الجزيرة إلى العراق لا تزال إلى الآن المسميات الجديدة في العراق تماثل ما عليه الحال في شمال الجزيرة، وهنا نسأل: أيهما أقدم تواجدًا للناس في فلسطين والشام عمومًا أم في بلاد عسير؟ لماذا لا يكون الافتراض الأقرب للمنطق أن أقوامًا من بلاد الشام نزحت قديمًا إلى بلاد عسير، وقامت بتسمية بعض القرى والأماكن التسميات الأصلية نفسها في فلسطين؟ هذا خاصة أمامنا شاهد تاريخي متفق عليه أن قومًا من العبرانيين بقيادة إبراهيم نزحوا من الشام إلى الحجاز.

٩ - من الأمور المحققة عند أكثر الباحثين: أن اليهود الذين وصفوا بأنهم عرب هم على صنفين: يهود عبرانيين استوطنوا الشام وفلسطين وهاجر بعضهم إلى الحجاز. وصنف آخر يهود من أصل عربي، ومن قبائل عربية يمانية معروفة، ذكرها المؤرخون من كندة وحمير وغيرهما. فلو صحت نظرية الصليبي: أن اليهودية ديانة عربية يمانية الأصل لوجدنا جذور العقيدة اليهودية في اليمن، وليس في الشام، وهذا على خلاف الثابت تاريخيًّا، ذلك أن الفكر اليهودي تم تدوينه، ونبتت جذوره الأولى في الشام والعراق. ويهودية العرب في اليمن طارئة، وليست ذات جذور جنوبية، بل إن بعض المؤرخين يرى أن يهود الحجاز كانوا قبائل عربية

تهودت، بدليل أسمـاء اليهود هؤلاء، وأسماء قبائلهم أسماء عربية مثل رفاعـة وكعب ووهب وزيد وبني النضير وبنـي عوف وبني ثعلبة[1] اللهم إلا أن تكـون جميع هذه القبائل جنوبية يمانيـة. وسياق الآيات القرآنية الـواردة في حق اليهود أو بنـي إسرائيل إنما تقـرن أخلاقهم وسيرتهم بأخلاق بني إسرائيل أيام موسى وعيسى عليهما السلام، وكون أولئك أجدادًا لهم، وقطعًا لم يكن بنو إسرائيل أيام موسى عليه السلام من العرب.

دين الحنيفية

يـرى بعض الدارسين أن الحنيفيـة ديانة توحيدية مستنـدة إلى دين إبراهيـم الخليـل التوحيدي رافضـة للوثنية وعبادة الأصنـام، وتقترب من النصرانيـة في معتقدها الأصلي التوحيدي المبني على الخلق القويم والوفاء وسمـو الروح. وربما كان المتحنفون العـرب قبل الإسلام من هؤلاء مثل ورقة ابـن نوفل وقس بن ساعدة الإيادي وأمية بـن أبي الصلت وزيد بن عمرو بن نفيل وعثمان بن الحويرث وعبيدالله بن جحش[2].

ربمـا كان هـؤلاء يمثلون الديانـة النصرانية العربيـة القديمة قبل أن يدخل إلى المسيحية عوامل الفكـر الفلسفي الرسولي البيزنطي الذي انتشر في الشام والعراق في ظل عوامل سياسية وصراع بين الفرس وبيزنطة.

---

(١) محمد سيد طنطاوي: إسرائيل في القرآن والسنة ص٧٤. بنغازي ١٩٧٣م.

(٢) وزاد عليهم صاحب بلوغ المرام جـ٢ ص٢٥٠ الأسماء الآتية: كعب بن لؤي بن غالب، وعامر بن الظرب العدواني، والرباب بن رئاب، وسويد بن عامر المصطلقي، وأسعد بن كرب الحميري، ووكيع بن سلمة بن زهير الأيادي، وعمير بن جندب الجهني، وعدي بن زيد العبادي، وسيف ابن ذي يزن، وصرمة بن أبي أنس، والمتلمس بن أمية الكناني، وعلاف بن شهاب التميمي، وعبد الطانجة بن ثعلب بن وبرة من قضاعة، وزهير بن أبي سلمى، وخالد ابن سنان العبسي، وعبدالله القضاعي، وعبيد بن الأبرص الأسدي.

والمتحنفون كانوا زهـادًا متعبدين لهم قيمهم الدينية والفكرية، وربما كانوا مرحلة تمهيد لظهور الإسلام. فمن الأحناف القريبين لعصر الإسلام زيد بن عمرو بن نفيل.

معتقدات الحنيفية

إن الأسماء التي ذكرها الإخباريون من الحنفاء، كما يتضح مما سلف هـم من قبائل عربية شتى شماليـة وجنوبية، كما أن وجودهم كان في أزمان مختلفـة، وربمـا متباعدة يحتاج معهـا الباحث إلى إيجاد رابطـة أو تسلسل زمني مؤثر في مسيرة الحنيفية، ولكن على العموم يجمع هؤلاء معتقدات قد تتوافر كلها أو بعضها في بعضهم أو جميعهم، وأهم تلك المعتقدات:

١ - عـدم قناعتهـم بعبـادة الأصنام والأوثـان والاعتقاد بوجـود إله واحد، ويؤمنون بالبعث والحساب والثواب.

٢ - وصفـوا بأنهم (التائبون)، وهذا يعكس دعوتهـم إلى التوبة من الشرك وسوء الأخلاق والرجوع إلى القيم الدينية القويمة السابقة.

٣ - يعارضـون وأد البنـات العـادة التـي كانـت تمارس عند بعض القبائل العربيـة قبل الإسلام. كما يعارضون القتـل وشرب الخمر ولعب الميسر والاستقسام بالأزلام وعدم أكل الميتة والمتردية والنطيحة.

٤ - اعتقادهم بالقضاء والقدر من الله الواحد سبحانه.

٥ - اعتقادهـم بالروح عنـد الإنسان، وأن سموه الروحـي هو مقصد الدين والحكمة.

٦ - يمارسون عادة الختان، ويحجون إلى مكة.

وبسبب هذه المعتقدات المختلفة التي حكيت عن الحنيفية ذهب كثير من الباحثين مذاهب شتى في إرجاعهم إلى إحدى الديانات السابقة، فكونهم موحدين للرب أرجعه البعض إلى تأثرهم باليهودية والنصرانية. ولاعتقادهم بالعالم الروحاني، قيل: إنهم متأثرون بديانة الصابئة المندائيين. والبعض غلَّب أن يكونوا قد تأثروا بالديانة الإبراهيمية القديمة التي تتبع عادة الختان وحج البيت العتيق الذي بناه إبراهيم الخليل عليه السلام. والقرآن الكريم وصف إبراهيم بأنه كان حنيفًا مسلمًا، وما كان من المشركين. وقد وصف الإخباريون العرب بعض من كان على دين إبراهيم بصفات، منها: عادة الختان، حلق العانة، المضمضة والاستنشاق، وقص الشارب، وفرق شعر الرأس، والسواك للأسنان، والاستنجاء من النجاسة، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط.

أهم من ذكر من الحنفاء

أمية بن أبي الصلت: من قبيلة ثقيف، مات في السنة الثامنة أو التاسعة من الهجرة. وهو شاعر، وعن طريق شعره عرف الأخباريون عقيدته في التوحيد، فقد قال:

يا رب لا تجعلني كافرًا أبدًا ... واجعل سريرة قلبي الدهر إيمانا
الحمد لله ممسانا ومصبحنا ... بالخير صبحنا ربي ومسانا

وذكر عنه أنه كان مطلعًا على ما في الكتب الأولى، والتمس غير دين الأوثان وطمع بالنبوة، ولكنه لم يؤمن برسالة محمد ﷺ، وقيل: إنه مات كافرًا بالإسلام.

ورقة بن نوفل

هــو ابن عمة خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ، وكان مطلعًا على دين النصرانيــة، وبشر بديــن التوحيد. وعند نزول الوحــي لأول مرة على النبي محمــد ﷺ وأصابــه ما أصابه مــن الرعب، ذهبــت به خديجــة إلى ورقة، فوصــف له ما جــاءه، فأخبره بأن ذلــك هو الناموس الذي نــزل على موسى وعيســى عليهما السلام مــن قبل، وأخبره بأن قومــه سينكرون ما جاء بــه وسيعادونه، ولكونــه شيخًا كبيرًا عند البعثة تمنى أن يمتد عمره لأجل نصرة الرسول ﷺ، ولكنه توفي قبل الهجرة. ومن شعره المروي في التوحيد قوله:

لا تــعــبــدن إلــهًــا غــير خــالــقــكــم

فــإن دعــوكــم فــقــولــوا بــيــنــنــا حَــدَدُ

سبحان ذي العرش سبحانًا يعادله

رب الــبــريــة فــرد واحــدٌ صــمــدُ

لا شــيء ممــا تــرى إلا بشاشته

يبقى الإلــه ويفنى المــالُ والــولــدُ

زيد بن عمرو بن نفيل

قيــل: إنه كان متحنثا في غار حراء، هاربًا مــن شباب مكة الذين آذوه بسبب دعوته في الكعبة لترك الأصنام. وقيل: إنه خرج من مكة يطلب الدين الصحيــح دين إبراهيــم ، فبلغ الموصــل والجزيرة في العــراق، ولعله قابل القســس من نصارى العــرب، فرجع إلى مكة ومات فيهــا قبل البعثة بخمس

سنـين. ومن آرائه التي نقلها الإخباريون تحريمـه الميتة والدم وما ذبح على النصب. وكان يدعي أنه الوحيد على دين إبراهيم، وينقل عنه قوله:

أربًـــا واحـــدًا أم ألـــف رب

أديـــن إذا تقـسـمـت الأمـــور

تـركـت الـلات والـعـزى جـمـيـعًا

كـذلـك يـفـعـل الجـلـد الـصـبـور

عثمان بن الحويرث

قيل: إنه أنكر على أهل مكة عبادتهم للأصنام، وكان يسعى أن يسوِّدوه عليهـم فأبوا ذلك وتركهم غاضباً إلى بلاد الـروم، وهناك اعتنق المسيحية طلبا أن يسوِّده الإمبراطور على مكة، لكن الغساسنة في الشام لم يقتنعوا به، واستسلموا لرأي أهل مكة فيه طمعًا بصلاتهم التجارية ألا تنقطع. قيل: إنه مات مسمومًا بالشام على يد عمرو بن جفنة الغساني.

عبيد الله بن جحش

قيـل: إنه كان على الحنيفيـة، فأسلم وهاجر إلـى الحبشة مع زوجته حبيبـة بنت أبي سفيـان. وقيل: إنه تنصر بالحبشة وتـوفي فيها، ولم يرجع إلى مكة.

قس بن ساعدة الأيادي

هو من قبيلة أياد، وقيل: إنه أول من تعبد من العرب، وكان يؤمن بالبعث. وتـروى عنه القاعدة القانونية (البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر).

وقيل: إنه عمل أسقفاً نصرانيًا في كنيسة نجران. وقيل: إنه كان من الحائرين في دينهم، واعتنق الركوسية من النصرانية، وقيل: بل أخذ عن الصابئة، وينقل عنه الإخباريون حكماً وأمثالاً وخطبًا قالها في سوق عكاظ منها: (اسمعوا وعوا، وإذا دعيتم فانتفعوا. إنه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت... ليل داج، وسماء ذات أبراج....). وقد مات قس قبل البعثة[1].

(١) د. عبد الفتاح علي شحاته: تاريخ الأمة العربية. جـ٣ ص١٠٠ - ١٠٦. القاهرة ١٩٦٢م.

obeikandl.com

الفصل الثاني

يهود يثرب وشمال الجزيرة العربية

إن الدراسات التاريخية لها أهمية كبيرة في دراسة عقائد الفرق وتطورها؛ ولهذا فمن المهم بمكان لأجل معرفة حقيقة تطور الفكر الشيعي الرجوع إلى الجذور الأولى لتاريخ المكان والزمان والرجال، الذين أنشؤوا تلك الأفكار والتعاليم، بما يتفق مع حاجتهم وظروفهم.

إن أسفار العهد القديم (التوراة) جمعت أول الأمر في بابل في العراق في أثناء ما يسمى السبي البابلي في القرن الخامس قبل الميلاد. وذلك بعد أن قام نبوخذ نصر ملك بابل بحرب اليهود وسبيهم وتهديم القدس وهيكلهم، فساح اليهود بعد ذلك في بابل والعراق، واشتغلوا في البداية عبيدًا تحت أسيادهم، ثم لأسباب سياسية ضد الدولة الرومانية قام الفرس حكام العراق بعد ذلك بإعطاء اليهود الحرية وإقامة أماكن العبادة، واشتهرت مدن فارسية قديمة بتكوين جالية يهودية لها، أحبارها وممثلوها في البلاط الفارسي، واستخدم الفرس اليهود ضد الرومان عيونًا لهم، خاصة في مناطق النفوذ الشمالية[1].

ولهذا، فقد اختلطت التعاليم الفارسية القديمة (المجوسية) (الزرادشتية والمزدكية) بالتعاليم اليهودية، التي جلبها اليهود من الشمال إلى بلاد العراق وفارس. فلما كتب أحبار اليهود العهد القديم اختلطت

(١) إيران في العصر الساساني: المصدر السابق.

التعاليم الفارسية القديمة بالتعاليم الموسوية، ولم تكن كتابة العهد القديم في وقت واحد، وإنما كتب على أقسام في أحقاب مختلفة، استكملت في القرن الثالث قبل الميلاد. ومن هنا فهم المؤرخون أن ما ورد فيها تعاليم محرفة، وفيها زيادات ونقصان عما كان في الأصل؛ ذلك أن بين كتابتها وعصر موسى عليه السلام سبعة قرون، وبينها وبين عهد إبراهيم عليه السلام ألف وثلاث مئة عام تقريبًا.

إن دراسة الأفكار والتعاليم الفارسية القديمة، (وهي أقدم مما عند اليهود) ومقارنتها بالتعاليم اليهودية الواردة في العهد القديم وأقوال أحبار اليهود في بابل الواردة في التلمود (التلمود البابلي)، تظهر بوضوح استعارة أحبار اليهود كثيرًا من الأفكار الفارسية، وإدخالها في تعاليمهم، والادعاء أنها من تعاليم موسى أو الأنبياء بعده عليهم السلام.

وأكثر كتبة العهد القديم من النبوءات والآمال التي تمنيهم العودة إلى القدس وإقامة هيكل سليمان مرة أخرى وإقامة دولتهم.

كما أدخل كتبة العهد القديم تعاليم وأفكارًا كانت منتشرة في بيئتهم في العراق، أي من تعاليم السومرية والآشورية والآكدية، إضافة إلى ما كان في الأصل يروى لهم عن موسى عليه السلام وخروجه من مصر، وبعض تعاليم ذات الأصول الفرعونية، التي انتقلت مع من خرج مع موسى عليه السلام إلى سيناء، ثم إلى فلسطين، وعلى الرغم من دعوة موسى عليه السلام وإبراهيم قبله أممهما إلى توحيد الله وتنزيهه عن الصفات البشرية، إلا أن اعتياد هذه الشعوب على العبادة الوثنية وعبادة الأشخاص والملوك والأنبياء تركت أثرًا واضحًا في كتابة العهد القديم.

تسمي التوراة نبي الله إبراهيم بالعبراني الذي ظهر في القرن التاسع عشر قبل الميلاد مناديًا بديانة التوحيد، وترك عبادة الأصنام وعبادة القمر السائدة في بلاد الرافدين، ومع إنكار قومه له سار مع من آمن معه، متجهًا نحو بلاد (الشام) طلبًا للخصب والأمان. ومكث وقومه الآراميون غرباء بين الكنعانيين (في الخليل) ثم هاجروا إلى مصر؛ طلبًا لعيش أفضل وهربًا من مخالفيهم الكنعانيين، ولكنه أيضًا لم يستمر بمصر، حيث أخرجه ملكها فعاد وقومه إلى (الشام)، وولد لإبراهيم من زوجته سارة إسحاق. ومن زوجته وأمته هاجر إسماعيل، حيث أودعها مكة حاملًا بابنها في أثناء مروره من الشام إلى مصر. وقد توفي إبراهيم في الخليل، وولد لابنه إسحاق يعقوب.

لقبت التوراة نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بإسرائيل (عبدالله المنتصر)، وذلك كما تدعي التوراة أنه صارع الله ليلة، وانتهت بانتصار يعقوب، فحصل على هذا اللقب[1].

ويذكر العهد القديم قصة يوسف بن يعقوب، وكيف حكم بنو إسرائيل مصر، ثم أخرجهم المصريون (الفراعنة) بعد (أربع مئة سنة تقريبًا). فجمعوا ذهب مصر، وخرجوا به خفية بقيادة موسى عليه السلام فعبر بهم البحر إلى سيناء وفيها تاه بنو إسرائيل، وبعد وفاة موسى عليه السلام، تفرق الإسرائيليون إلى أسباط، ودخلوا في حروب؛ لاغتصاب أرض كنعان (أرض فلسطين)، وظهرت تسمية اليهود في هذه المدة في حكم نبي الله سليمان عليه السلام ثاني ملوك اليهود ٩٦٠- ٩٢٥ قبل الميلاد، حيث بنى الهيكل للعبادة، إلى أن جاء الكلداني نبوخذ نصر من العراق، ودخل أورشليم، وسبى اليهود، وجاء

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٣٢: ٢٥ - ٢٩. (تعالى الله عن ذلك علوًا كبيراً).

بهم إلى بابل عاصمته في العراق، وذلك في القرن السادس قبل الميلاد. وقد قام الآشوريون العراقيون قبل ذلك أيضًا بدخول مملكة يهودا (إسرائيل) شمالي فلسطين، ودمروا عاصمتها السامرة، وسبوا سكانها، وجاؤوا بهم إلى بلاد آشور في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد.

ومن هنا نفهم كيف أن الإسرائيليين واليهود فيما بعد تعرضوا إلى مختلف الهجرات والحروب، وجروا على أنفسهم المتاعب والآلام والضياع، وفي هذه الظروف كتب أحبارهم العهد القديم، الذي رشحت منه شخصيتهم وعقائدهم الأصلية والمقتبسة من الأمم، التي حلوا بها أو جاوروها، وادعوا أنها تعاليم من الله، جاء بها موسى عليه السلام، وموسى عليه السلام منها براء. ولكي يستطيعوا العيش مع مختلف الشعوب فإنهم اضطروا إلى العمل السري وإخفاء ما يبطنون وإظهار النفاق والملق؛ للحصول على مبتغاهم[1].

*****

(١) ثروت أنيس الأسيوطي، نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين، ص١٣٨. صابر طعيمة: التاريخ اليهودي العام، ص٥ – ١٠٠، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.

يهود يثرب

تظهـر آثـار الآشوريين ٩٠٠ قبـل الميلاد وجود العـرب ومشاركتهم في بعضـ حروب المنطقة، وكان يطلق عليهم البدو، ومن أوائل الإشارات للعرب في العهد القديم الإشارة إلى نبي الله أيوب عليه السلام، وهو عربي، وارتباط هجـوم أهل سبأ على الملك أيوب عليه السـلام (ربما قرب نجد)[١]، وتذكر التوراة أن من بين من قدم الذهب لنبي الله سليمان عليه السلام ملوكًا من العـرب [٢]. وقد أشار القرآن الكريم إلى بلقيس ملكة سبأ ومجيئها لسليمان عليه السلام.

إن الصـلات التجارية تشـير إلى انتقال التجـار العرب من ممالكهم الصغـيرة إلـى الأمم الأخرى، ومنهـم اليهود في فلسطين، وتـرد بلدان مثل بصـرى وغـزة وتيمـا.. بوصفها منطلقـات للتجـار العـرب، وتجارتهم مع الشمال (الشام) والجنـوب (اليمن). وتذكر التوراة العرب بين أقوام كانوا قد هاجموا القدس، ونهبوا ممتلكاتها، وسبوا نساءها[٣].

ويشـير سفر نحيميـا إلى امتناع العرب من (جشـم) عن المشاركة في بناء سور أورشليم[٤].

وتبـدو مملكة الأنباط شمـال الجزيرة العربية (البـتراء) قد هددت مملكـة يهـودا (١٦٠ قبـل الميـلاد) في مناسبات عدة. وكذلـك فعل العرب

(١) سفر أيوب وجواد علي، العرب قبل الإسلام، ج١، ص ٦٣١.
(٢) سفر الملوك الأول، الإصحاح، ١٠ : ١٦.
(٣) سفر أخبار الأيام الثاني، ٢١ : ١٧.
(٤) نحيميا، الإصحاح: ٦ : ١٠ وما بعدها.

العمونيـون (عمـان- الأردن). وذكـر من ملـوك الأنباط الملـك (الحارث). وهنـاك أثر دينـي من الأنباط العرب علـى الديانة اليهوديـة. فآلهة الأنباط كانـت (ذو الشـرى)، (واللات)- الآلهـة الأولى، إشارة إلى جبـال الشراة، المسمـاة بهذا الاسم إلى اليوم، وأسمتها التـوراة (جبل سعير)، حيث أشرق منهـا الإله يهوه حسب نص التوراة، وهو معبـود اليهود. ومما نقل عن تبادل المصالـح والتجارة بين العرب واليهـود، ما حصل في تدمر في المملكة العربية في الشمـال، حيـث كان يقطنها كثـير من اليهود الذين توافـرت لهم الحرية الدينيـة في عهـد الملكة العربيـة الزباء، التي يذكـر أنها كانـت متحالفة مع الرومـان، ما أوغر صدور اليهود القاطنين في العـراق، لتحالفهم مع الفرس ضد الرومان. وحتى هذه المدة لم يكن لليهود وجود في جزيرة العرب إنما كانوا حولهـا في العراق والشام خاصة، ولكـن بعد القرن الخامس قبل الميلاد وبعد السبي البابلي المشار إليـه بدأ اليهود دخول الجزيرة العربية والاستيطان في الحجاز شمالاً وفي اليمن جنوبًـا، وفي هذه الحقبة انتشرت التعاليم والديانة اليهودية، وأصبحت معروفة للعرب خاصة في حواضرهم إلى أن جاء الإسلام واستكمـل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إخـراج اليهود من جزيرة العرب، فانزاحوا إلى بلاد العراق واليمن والشام ومصر، حيث فضل بعضهم الرجوع إلى مواطنهم الأصلية، وسنقوم بتفصيل كل ذلك في موضعه.

إن في التاريـخ أدلـة كثـيرة على اتصال العـرب بالعبرانيـين واليهود عمومًـا، منها الصـلات الشمالية (الشام)، فقد ذكـر أن نبيت الأوس وهم عرب يتألفون من (ظفر) ومن عبد الأشهل ومن حارثة وقعت بينهم الحرب، فانضمـت حارثة إلى الخزرج وتحالفت معها... وأمـا ظفر وبنو عبد الأشهل فقـد اضطروا إلى ترك ديارهم (جنوب شـرق فلسطين) والذهاب إلى مكة

والتحالـف مع آخرين؛ لمساعدتهم ضد الخـزرج، وقد كانوا يسكنون الحرار الشرقية، ثم أفل نجمهم، وقد كانوا على اتصال باليهود، وتحالفوا فيما بعد مع يهود خيبر، إحياء للصلات الشمالية القديمة.

وقد وردت إشـارات في التوراة والتلمود إلى العرب تدل على البغضاء، سببهـا ما كان الأعراب يفعلونه في الإغـارة على الحواضر التي كان يسكنها اليهود[1].

ذكـر ابـن أبي الحديد أنـه كان في العرب من كان يميـل إلى اليهودية كالتتابعة وملـوك اليمن، ومنهم نصارى كبني تغلـب والعباديين رهط عدي ابـن زيد والنصارى نجـران [2]. وفي كتـاب المغازي للواقدي ذكـر أن عبدًا مـن اليهود بمكة اسمه عبدالدار بن جبر دخـل في ذمة الرسول ﷺ بعد أن سمع منه سورة يوسف، وقد أهانه مشركو مكة على ذلك، ولكن الرسول ﷺ أكرمه حين الفتح، وزوجه من بنات مكة. كما تشير بعض الأحداث إلى اتجار اليهـود مـع أهل مكة ومرورهم بهـا أو بالعكس ذهاب المكيـين إلى اليهود في خيبر؛ لشراء الذهب خاصة.

وتشـير الروايـات إلى أن جاليـة يهودية قدمت من بابـل ومن الشام، واستوطنـت يثرب ومـا حولهـا واشتغلت بالزراعـة والصناعـة (الذهب)، خاصـة وأن العرب يعزفون عن هذه الحرف. ثم امتد سكنى اليهود في وادي القـرى والطائف ومقنا وجربـا، إضافة إلى فدك وخيبر ويثرب نفسها. ومن أشهر البطون اليهودية التي سكنت هنا بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع.

---

(١) جواد علي: العرب قبل الإسلام، جـ١، ص ١٧٤ - ٢٨٩.

(٢) ابن أبي الحديد: نهج البلاغة، ج١، ص١٢٠.

وقـد كتب الرسول ﷺ إلى جماعات من اليهود يدعوهم إلى الإسلام، منهم بنو جنبة وبنو عاديا وبنو عريض[١]. وقيل: إن بعض القبائل العربية أو جزءًا منها قد تهودت قديمًا، وحافظت على سماتها العربية. فبنو جشنة بن عكرمة وهم من قبيلة بلى قتلوا نفرًا من بني ربعة، فهربوا إلى حصن يهودي بتيماء، فأبى اليهود حمايتهم إلا أن يدخلوا في دينهم [٢] فدخلوا.

إن الاتصالات التجارية بين العرب واليهود القاطنين بقربهم لا تحتاج إثباتًا لكثرتها، فقد ذكر أن بني كلب الذين حملوا سلمان الفارسي باعوه إلى يهـودي في وادي القرى، وهـذا اليهودي باعه إلى ابن عم له من بني قريظة. وقـد ذكر الإخباريـون قبيلة عربية يهوديـة اسمها بنو زقـورا. ويذكر بعض المؤرخـين أن عربًا قد تهودوا (قبل الإسلام) منهـم بعض ملوك (حدياب) ويقال: إن اليهود في هذه المناطق كانوا يودون دخول العرب إلى اليهودية على مقولة: إنهم أبناء أب واحد (إبراهيـم)[٣]. أما المصادر التلمودية اليهودية فتذكـر تهـود بعض العرب من قبائـل شتى ومناسبات مختلفـة، إضافة إلى روايـات الإخباريـين، الذين ذكروا تهود حمير وبنـي كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة.

تظهـر الوقائع التاريخيـة القديمة سوء العلاقة بـين الدولة الرومانية التي حكمـت الشام وفلسطين واليهود القاطنيـين، وكانت آخر حركة لليهود ضربهـا الرومـان سنـة ٧٠ م، حيث حرموا مـن دخول القدس، فتشتتوا في البـلاد، وجاء بعضهـم إلى يثرب علـى رأي بعض المؤرخين وخيـبر وتيماء،

(١) ابن سعد: الطبقات، جـ١، ص٢٧٩.

(٢) جواد علي: العرب قبل الإسلام جـ٦، ص٥٢٥.

(٣) جواد علي: العرب قبل الإسلام جـ٦، ص٥١٤.

واشتغلوا بالزراعة وبعض الصناعات والذهب. وكان يهود يثرب في ثلاث مجموعات أو قبائل: بنو النضير وبنو قينقاع وبنو قريظة. ويذكر المؤرخ اليعقوبي: إن قوماً من العرب دخلوا في دين اليهود، وفارقوا دين الأصنام وإن قومًا من الأوس والخزرج قد تهودوا؛ لمجاورتهم اليهود في خيبر. كما ذكر أن قومًا من غسان وخذام قد تهودوا أيضًا[1].

ودخل اليهود في البيئة العربية، فلبسوا اللباس العربي، وتزوج العرب منهم كما أنهم تزوجوا من العرب أيضًا، ولهذا السبب فقد انتشرت تعاليم التوراة اليهودية بين أولئك العرب، فكانوا على معرفة بها[2].

وغسان وقبائل جنوبية من اليمن، كما ذكروا أن العربي (جبل بن جوال بن صفوان) من ثعلبة بن سعد بن ذبيان كان يهوديًا فأسلم وعاش في بني قريظة. وهذا كله في قبائل شمالية (الحجاز وشماله). أما في الجنوب فيبدو الأمر أكثر وضوحًا وإن كان زمن دخول اليهودية إلى اليمن غير واضح. فيذكر ابن هشام أن ملك اليمن تبع أسعد أبا كرب ملك حمير اصطحب معه راجعًا يهودًا من يثرب.

وتشير رواية إلى أن ملك حمير تبان أسعد أباكرب أول من اتخذ اليهودية دينًا. ويذكر ابن الكلبي أن همدان تركت عبادة صنمها يعوق وتهودت، كما فعلت حمير بصنمهم نسرا كذلك، وقد أيدت حفريات حديثة هذه المعلومات مشعرة أن اليهودية في اليمن انتشرت بشكل أقوى مما هو في الشمال، حيث اعتنق الملوك هذه الديانة، والناس على دين ملوكهم[3]. كما

(١) اليعقوبي: تاريخ، جـ١، ص٢٥٧.

(٢) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ٦، ص٢٤.

(٣) جواد علي: العرب قبل الإسلام جـ٦، ص٥٤٦.

تشـير المصادر اليهودية من خارج اليمـن (العراق والشام) إلى زيارة بعض أحبـار يهـود اليمن إليهم وبالعكـس. ويذكر بعض الدارسـين أن تهود بعض ملـوك اليمـن كان سببه سياسيًّـا، وذلك لدفع النفـوذ الروماني النصراني عنهـم، وهـي السياسة المؤيـدة من الفرس الذين كان لهم نفـوذ في اليمن سابقًـا على رغبة الرومان هذه. وعلى أي حـال لم تكن اليهودية هي الديانة السائدة في اليمن، إنما كان بجانبها الديانة الوثنية أيضًا، إضافة إلى انتشار النصرانية فيما بعد عند البعض، كما أن الوثنية هي السائدة في بلاد العرب قبل الإسلام وإلى جانبها كثير ممن تهودوا أو تنصروا.

وقـد حدث صراع في اليمن بين اليهوديـة والنصرانية، فحينما اعتنق الملك الحميري النصرانية (٣٥٤م) بدأت هذه الديانة تتسع جنوب الجزيرة العربيـة خاصة في نجـران وقطر وحضر مـوت وظفار على حسـاب الوثنية واليهودية معًا. ولكن فيما بعد هال الوضع الملك الحميري ذا نواس وهو على اليهوديـة، فسار بجيشه إلى نجران وعمل فيها مذبحة كبيرة لكل من تنصر ونصـب أخـدودًا أحرق فيه خصومـه الجدد، وقد أشار القـرآن الكريم إلى أصحـاب الأخدود كما هو معـروف. وقد انتقم النصارى علـى يد الأحباش (أبرهـة) من الحميريـين، وأسقطوا مملكتهم، كما حاولـوا إخضاع العرب الوثنيين في حملتهم على مكة (حادثة الفيل). ولكن فيما بعد تمكن اليمنيون بقيـادة سيف بن ذي يـزن وبمساعدة من الدولـة الفارسية من طرد النفوذ النصـراني وجيشـه من اليمن، فكانـت اليمن تحت النفـوذ الفارسي حتى حررها الإسلام.

ولما غلبت الأوس والخزرج على يثرب دخلوا في حروب مع اليهود، ومنها (يوم بعاث)، (يـوم سُمير)، وكله لأسباب اقتصادية، لم يجد اليهود بعدها

إلا مهادنة الأوس والخزرج ومحاولة استعمال الخديعة والحيلة؛ ليأمنوا غوائلهم، خاصة أن اليهود كانوا عوامل الإنتاج الزراعي والحرفي (السلاح) في المنطقة، والعرب في حاجة إليهم وإلى الاقتراض منهم بالنسيئة. فكان يهود يثرب وما حولها لا يختلفون عن عادات العرب عامة، حيث تأثروا بالعرب لغة وتعاملاً عدا الاختلاف الديني. وذكر لليهود شعراء كثيرون منهم السموءل بن عاديا صاحب حصن (الأبلق) بتيماء، وهو جد صفية بنت حيي بن أخطب اليهودية لأمها، التي تزوجها الرسول ﷺ.

ويتفق العرب واليهود على عادة الختان التي يقال: إن اليهود اكتسبوها من مصر قبل الخروج، فأضفوا عليها مسحة دينية.

اليهود ورسالة الإسلام:

ولما صدع رسول الله ﷺ برسالته أنكرتها قريش، فأرسلوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط يسألون اليهود بيثرب عن محمد ﷺ ودعوته، وبدل أن يؤيد اليهود دعوة التوحيد المطابقة لما عندهم ناصروا الوثنية وقريشًا؛ حفاظًا على مصالحهم، في حين مال الأوس والخزرج إلى دعوة الرسول ﷺ، حيث كانت (بيعة العقبة) مع رهط من الخزرج (١٢ رجلًا)، فقد كانوا للإسلام وتعاليمه أقرب من وثنية قريش؛ وذلك لمعرفتهم. وتبعت هذه بالبيعة الثانية من ٧٣ رجلاً وثلاث نساء من الخزرج أيضًا على ما هو مبسوط في السيرة النبوية، يضاف إلى ذلك أن الأوس والخزرج من قبائل الأزد، التي خرجت من اليمن على رأي بعض المؤرخين، حيث كانوا أقرب لعقيدة التوحيد مما كانوا على علم به من يهود اليمن منذ القديم.

تأثير الأفكار اليهودية على مجتمع الأوس والخزرج

إن أهـم جـذور قديمة كانـت مؤثـرة في العقل الباطن لمجتمـع الأوس والخزرج هي الأفكار اليهودية، التي حملوها معهم من اليمن عند استقرارهم في يـثرب ونزولهـم على يهود يثرب، الذين فيما يبـدو لم يعارضوهم، ويهود يـثرب من أصـول عربية يمنية، وقسم آخر من أصـول فلسطينية جاؤوا بعد السبي البابلي للقدس.

وكان من أثر جوار الأوس والخزرج لليهود أن تعاقدوا معهم، وتحالفوا مـدة طويلة إلى أن شعـر اليهود بخطورة هذا الجوار عليهـم، فتمرد اليهود علـى هذا الحلـف؛ أملًا في الخلاص منـه، وكان الكاهنان بنـو قريظة وبنو النضـير، شوكـة اليهود في يثرب. وبعـد أن ساد مالك بـن العجلان بالأوس والخزرج طلب المدد من الغساسنة في الشام، حيث قام جيشهم بضرب يهود وتأديبهـم علـى نقضهم العهد، وعندهـا علا شأن الأوس والخزرج، وطلب اليهود التحالف معهم، بعضهم تحالف مع الأوس والآخرون مع الخزرج عدا بني قريظة وبني النضير ظنًّا منهم أن حصونهم مانعة لهم.

ولكـن برغم كل ذلك فهذا الجـوار الطويل بين الفريقين أنتج علاقات فكرية واقتصادية، بل حتى بالنسب.

يدل على ذلك الأحداث والنتائج الآتية:

١- بعضـ من بني قيلة (الأنصار) كانوا قـد تهودوا نتيجة أن المرأة من بني قيلة كانت إذا لم يأتها ولد أو لم يعش لها الولد تنذر إن ولدت أن تهوده؛ كي يعيش لها؛ ظنًّا أنهم أهل كتاب يتسبب دينهم في حياة الولد بخلاف أهل الأوثان. وقد نقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

فلما أجليت بنو النضير، وكان فيهم بعض أبناء الأنصار قال بعضهم: لا ندع أبناءنا[1]، والمشكلة أن هؤلاء الأبناء قد تشربت فيهم العقيدة اليهودية، فحاول أهلهم إجبارهم على الدخول في الإسلام، فأبى أكثرهم، فنزلت الآية الكريمة في حقهم، كما يقول بعض المفسرين: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[2] (البقرة: ٢٥٦)، كما تشير المصادر إلى أن الأنصار كانوا يستضيفون أولادهم كاليهود، فنشأ كثير منهم بين اليهود، وتهودوا نتيجة ذلك إلى أن حدثت تلك المفارقة التاريخية بين الفريقين، وانحاز أبناء أنصار اليهود إلى أهليهم، وسمح المسلمون لهم في البقاء حينها على يهوديتهم، وتذكر المصادر أن هؤلاء الأبناء لم يكونوا قلة، بل كانوا كثرة مؤثرة فيما بعد، في المجتمع الإسلامي وتطور الأحداث في القرن الأول خاصة.

وتشير صحيفة العهد الذي جرى بين المسلمين ويهود المدينة إلى تقسيم اليهود حسب موالاتهم لفروع الأوس والخزرج: يهود بني عوف، يهود بني ساعدة، يهود بني الأوس، وهذا يدل على شدة تلاصق اليهود بهذه الفروع من الأنصار.

كان بنو قينقاع من يهود يثرب حلفاء للخزرج خاصة، حلفاء لعبادة ابن الصامت، وعبدالله بن أبي بن سلول، أما بنو النضير وبنو قريظة فقد كانوا حلفاء للأوس، وقد سأل عبادة بن الصامت رسول الله ﷺ أن يستظهر بخمس مئة من اليهود حلفاءه على العدو، فأبى رسول الله ﷺ ونزلت الآية: ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ﴾ (آل عمران: ٢٨)[3].

(١) السيوطي: أسباب النزول، ص٣٤.

(٢) الواحدي: أسباب النزول ص٥٣. القاهرة ١٩٦٨م.

(٣) ابن تيمية: منهاج السنة، جـ٣، ص٢٥٩.

أما عبادة بن الصامت فقد نبذ حلفه مع يهود، حينما اعتدوا على امرأة من الأنصار، وأما عبدالله بن أبي بن سلول فقد احتج على رسول الله ﷺ قائلًا للرسول ﷺ: (فو الله لا أرسلك حتى تحسن في موالي وعترتي، وأنا امرؤ أخشى الدوائر)، ولهذا كان رأس المنافقين في المدينة.

أما بنو النظير فقد تآمروا على رسول الله ﷺ وهو جالس تحت جدار لهم، فانتدبوا عمرو بن جحاش بن كعب؛ ليلقي عليه حجرًا، ولكن الله سلمه، فنبذ عهدهم (حلفاء الخزرج). وأجبروا على الرحيل من يثرب، برغم معارضة عبدالله بن أبي بن سلول ووديعة بن مالك بن أبي قوقل وسويد وداعس[1].

أما بنو قريظة من اليهود فقد تحالفوا مع مشركي قريش، وأغروهم بقتال المسلمين، فجاءت الجموع في غزوة الخندق لحصار المدينة، وكان الأمر شديدًا على المسلمين، يصفه القرآن الكريم: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ (الأحزاب: ١٠)، وكان هذا الأمر من سعي حيي بن أخطب وكعب بن أسد القرظي، وتجمعت الأحزاب من قبائل مجاورة، ولكن المسلمين بادروا بحفر الخندق بمشورة من الصحابي سلمان الفارسي، ثم جاءت ريح صر شتت الأحزاب، وخذلهم أقرب الناس إليهم، فارتحلوا عن المدينة، وتركوا بني قريظة يواجهون مصير فعلتهم ونقضهم العهد[2]. فعمد المسلمون إلى حصارهم، وأرسل الرسول ﷺ إليهم أبا لبابة، حيث تقول المصادر: إن (ماله وولده وعياله كانت في بني قريظة)، ولعل هذا الأنصاري كان يسترضع اليهود أولاده كما قدمنا، فدفعته أواصر المال والعيال إلى إخبارهم بأن الرسول ﷺ

(١) ابن هشام: السيرة، جـ٣، ص١١٨.
(٢) البخاري. صحيح. باب غزوة الخندق.

سيغزوهم، وقد ندم على إفشاء سر رسول الله ﷺ، حيث ذكرت المصادر أنه قال: (فو الله ما زالت قدماي من مكانهما، حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه)[1].

لقد كان الأوس حلفاء لبني قريظة .. واستعمل الرسول ﷺ عليهم عبدالله بن سلام (من اليهود الذين دخلوا الإسلام) فتواثب الأنصار، وقالوا: يا رسول الله، حلفاؤنا وموالينا. يطلبون الشفاعة لهم، كما فعل عبدالله بن أبي بن سلول الخزرجي في تشفعه لبني قينقاع. ولكن سعد بن معاذ اقترح قتل رجالهم وسبي نسائهم؛ ومصادرة أموالهم؛ جزاء تآمرهم مع المشركين والأحزاب[2]. وهو ما استقر فعله.

ويبدو مما سلف أن تأثر مجتمع الأنصار باليهود كان بالغًا، ليس فقط إرضاع اليهود لأولادهم كما سلف، بل تأثرهم بعادات اليهود في طريقة مجامعة النساء وطريقة الهيئة والملبس إلى درجة دفعت الرسول ﷺ أن ينهى في مواضع عدة عن التشبه باليهود، وطالب ﷺ بمخالفتهم، حتى في حف الشوارب، وإعفاء اللحى، ويبدو من شدة اختلاط الأنصار، وتأثرهم باليهود، فقد شاع فيما يبدو أن يعير المهاجر ويدعو الأنصاري أيضًا بالقول: يا يهودي. فمن حديث مرسل عن داود بن الحصين عن أبي سفيان: من قال لرجل من الأنصار: يا يهودي، فاضربوه عشرين. وقد أمر الرسول ﷺ بالتعجيل بصلاة المغرب قبل اشتباك النجوم؛ كي لا يحاكي فعل اليهود في وقت

(١) ابن هشام: السيرة، جـ٣، ص١٦٠. تذكر الروايات أن أبا نائلة بن ملكان بن سلامة بن وقش كان أخًا لكعب بن الأشرف من الرضاعة. انظر ذلك عند ابن عبدالبر في قصة مقتل كعب ابن الأشرف.

(٢) ابن عبدالبر: الاستيعاب، جـ٤، ص١٧٤٠.

صلاتهم، كما وردت الأخبار أن الأنصار من الأوس والخزرج كانوا يجالسون اليهود، ويتحدثون معهم عن مسائل من العقيدة كالقضاء والقدر[١].

وهنـاك الكثـير من العرب أمهاتهـم يهوديات، فهم عنـد اليهود يهود أصـلاً، فالقاعدة أن اليهودي هو من خرج من رحـم يهودية مهما كان أصل والـده، فهذا كعب بن الأشرف اليهـودي تشير المصادر إلى أنه عربي الأصل من نبهان من طيئ[٢].

إن هـذا الموضـوع مهم جدًّا يحتاج من الباحثـين إلى مزيد من البحث والتتبع؛ لخطورة نتائج تلك الصلات والوشائج بين بني قيلة ويهود مع الحذر بعـدم نسيان فضـل الأنصار على نصـرة المسلمين والمهاجريـن إليهم، فلا يؤخذ المجموع بذنب الأفراد الخارجين عنهم.

لقـد كان لليهـود في يثرب (مدراس) يدرسون فيه العلـوم الدينية، وكانوا يناقشـون الرسـول ﷺ وأصحابه بمقولاتهم التـي كانوا يتداولونهـا، والتي ذكر القرآن الكريم طرفًا منها، وقد وصف القرآن منهم علماء: ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ (الشعراء: ١٩٧)، أما أسماء أولئك العلماء من اليهود فتذكر لنا الروايات جملـة منهـم: عمرو بن جحاش، وكعب بـن الأشرف، وفنحاص، والربيع بن أبي الحقيـق، وكنانـة بـن الربيع، وسلام بـن ربيع، وحيي بـن أخطب، وأخـواه ياسر وجـدي، والزبير بن بطا، وشاس بن قيس، ووهب بـن يهودا، ومالك بن الصيف، ورافـع بن حريملة، ورافع بـن حارثة، وأرز بن أبي أرز، ولبيـد بن أعصم، وكنانة ابـن صوريا، والحجاج بن عمـرو، وكردم بن قيس، ومحمود بن سيحان، وغيرهم

(١) موسوعة السنة (مجمع البحوث بمصر)، جـ٤، ص١٨٥١، جـ١ ص٢٤٥، جـ٣، ص٣١٢.
(٢) ابن عبدالبر: الاستيعاب، جـ٤، ص١٤٦٣ .

كثير من اليهود العرب من قبائل عربية شتى، أرجو أن يسلط الضوء والبحث على أثرهم على المسلمين بتتبع مقالاتهم، فقد كانوا هؤلاء يجادلون الرسول ﷺ وأصحابه، ويدافعون عن عقيدة اليهود[١]. وبلغ من أثرهم على المسلمين أن امرأة يهودية ذكرت الأخبار أنها كانت ترقي عائشة رضي الله عنها بالتوراة والإنجيل وبعلم من والدها أبي بكر رضي الله عنه[٢]. وينقل لنا خبر آخر أن أبا بكر رضي الله عنه كان يدخل إلى مدارس اليهود، ويسمع منهم بعض علومهم، وقد تجادل أبو بكر مع راهب منهم اسمه فنحاص أدى الجدال إلى خصام رفع للرسول ﷺ من قبل شكوى فنحاص، فأنزل الله تأييدًا لرأي أبي بكر: ﴿**لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ**﴾ (آل عمران: ١٨١)[٣].

والخليفة عمر رضي الله عنه عمد إلى نسخ بعض الكتب من اليهود في رقعة، فلما رآها الرسول ﷺ غضب، ونبه على ترك ما عند أهل الكتاب والاكتفاء بما في القرآن الكريم. وعن أبي الدرداء ووائلة بن الأسقع وأنس بن مالك، قالوا: كنا في مجلس يهود، ونحن نتذاكر القدر، فخرج إلينا رسول الله ﷺ مغضبًا، وانتهر وقطب، ثم قال: (**اتقوا الله يا أمة محمد.....**)[٤].

إن حديث الإفك المشهور على السيدة عائشة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها تولى اليهود والمنافقون نشره، وكان على رأسهم عبدالله بن أبي ابن سلول إلى درجة أن النبي ﷺ قال في خطبته: (**.... من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي**)[٥].

---

(١) ابن هشام: السيرة، جـ٢، (عداوة اليهود).

(٢) صحيح البخاري: شرح عمدة القارئ، جـ٢، ص٢٦٢.

(٣) ابن هشام: السيرة، جـ٢، ص١٧٧.

(٤) السيوطي: الجامع الكبير، جـ٤، ص٢٩٦٨.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، حديث الإفك، ابن هشام: السيرة جـ٤، ص١١.

٤- الخلافات القبلية وجذورها

عملت الخلافات القبلية في التاريخ العربي والإسلامي دورًا كبيرًا في تشتيت الأمة وانقسامها وضعفها في جمع الأدوار التاريخية التي مررنا بها، ولا تزال هذه الجذور مؤثرة إلى يومنا هذا، ومن المفيد للباحث تتبع الجذور الأولى التي انبعث منها الخلاف والشقاق ومعرفة أسبابه. إن ظاهرة اختلاف الشعوب والأجناس ظاهرة طبيعية لا مفر منها، وقد وجه القرآن الكريم أن يكون هذا الاختلاف مثمرًا للتعاون والبناء لا الهدم والقتال: ﴿خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات:١٣).

*****

بعض من القبائل العربية
التي قيل: إنها اعتنقت اليهودية

حيثما يتحدث الإخباريون العرب عن ديانة العرب في الجاهلية يذكرون أن أكثر القبائل قبل الإسلام كانت ديانتها وثنية، ويذكرون صنم كل قبيلة. وقد أفرد ابن الكلبي في كتابه الأصنام تفصيلًا عن صنم أو وثن كل قبيلة وعن مكانة عبادته وطريقتها. ولكن بعضهم ذكر أن بعضًا أو قلة من أفراد بعض القبائل العربية من اعتنق الديانة اليهودية، وهم:

١- بعض من بني الديان، وذكر القلقشندي في كتابه نهاية الأرب نسبهم العربي، فقال: إنهم بطن من بني الحارث بن كعب بن الحارث[١]. ويعد الشاعر السموءل ابن عاديا اليهودي من بني الديان عند بعض الإخباريين.

٢- بعض من حمير.

٣- بعض من كنانة.

٤- بعض من كندة.

٥- بعض من قضاعة.

٦- ويرى بعض المستشرقين أن السموءل شخصية منتحلة عن صموئيل المذكور في التوراة. وقيل: إن أمه كانت يهودية، أما أبوه فكان من غسان[٢]، وللسموءل ابن اسمه شريح أدرك الإسلام، ويذكر أن السموءل هذا هو جد زوج النبي ﷺ صفية بنت حيي بن أخطب، وأم صفية رضي الله عنها اسمها برة بنت السموءل بن عاديا.

---

(١) القلقشندي: نهاية الأرب، جـ، ص.

ياقوت الحموي: العجم، جـ، ص.

(٢) جواد علي: الفصل في تاريخ العرب، جـ١٢، ص١٥٥.

٧- ويـرى بعض الإخباريـين العرب أن اليهودية كانـت أيضًا في بعض قبائل الأنصـار من الأوس وبني نمـير وبعض غسان وبعض جـذام، وورد عن بعضـ المفسرين لآية البقرة: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، أنها نزلت في قـوم مـن الأنصار كانـوا قبل الإسـلام يرسلون أولادهـم لمرضعات ومربيـات يهوديات، فلما جاء الإسلام وكبر هـؤلاء الصغار أراد أهلهم إجبارهـم على اعتنـاق الإسلام وترك اليهودية، التـي شبوا عليها عند مرضعاتهم، فنزلت الآية المذكورة.

٨- ويـرى بعضـ المؤرخـين أن اليهـود الذين وصفـوا بأنهم عـرب هم على صنفين، صنف أصله عبراني شمالي هاجر من الشام إلى الحجاز (بنو قريظة وبنو قينقاع وبنو النضير). وصنف أصله عربي يماني كأمثال ما ذكر عن بني الحارث بن كعب ويهود كندة وحمير، فهؤلاء عرب تهودوا.

٩- إن أثـر أهل الكتـاب واليهود خاصة في المجتمع العربـي استمر حتى بعد الإسلام، خاصة في مناطق وجود أهل الكتاب: كاليمن والعراق والشام، بدليل ما ذكرناه عنهم في هذا الكتاب.

فلمـا قدم المسلمون إلى يثرب مهاجرين كتب الرسول ﷺ وثيقة موادعة بـين المهاجرين والأنصار واليهـود ضد قريش، ولكن اليهـود ناصبوا المسلمين العـداء، وأنكـروا نبوة محمد ﷺ، وحكى القرآن جميـع نفاقهم، وما يضمرون ضـد المسلمـين، ومحاولتهـم الفتنة بـين الأوس والخـزرج؛ لإضعـاف الدعوة المحمدية، ودخلوا في جدال المسلمين حول صحة عقائدهم، وما ورد في كتبهم.

تشـير وثيقة الموادعة فيما يخص اليهـود إلى مبدأ الدفاع عن المدينة، كمـا تشير إلـى مبدأ حرية اليهود في البقاء على دينهـم، لكنهم استمروا في التشكيك في الوحي، وأدركوا أنهم لم يعودوا وحدهم أصحاب العلم، فدخلوا

في جدال مع المسلمين. ذكر ابن إسحاق: أن عبدالله بن صوريا الأعور الفطيوني (يهودي) قال للرسول ﷺ: إن الهدى ما نحن عليه، فاتبعنا.

وجادلوا المسلمين حول القبلة ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ (البقرة: ١٤٢). كما جادلوهم عن النسخ وتحريم بعض الأطعمة، وذكر من جملة المجادلين اليهود أبو ياسر بن أخطب، ورافع بن أبي رافع، وأزار ابن أبي أزار، وأشيع، ومن علماء اليهود الذين جادلوا الرسول ﷺ كعب بن أسد، وابن صلويا وعبدالله بن صوريا، وشاس بن قيس، وأخيرًا اندفع اليهود إلى التحالف مع المنافقين من أهل المدينة وعلى رأسهم (عبدالله بن أبي بن سلول)، وقد انتهى الأمر باليهود إلى التحالف مع المشركين ضد المسلمين، وفي هذا نقض لوثيقة الموادعة، فنبذ الرسول ﷺ وثيقة التحالف، وبدأ بإخراج بني قينقاع من المدينة بعد غزوهم، فتوزعوا في الشام والعراق[1]. ثم قتل المسلمون كعب ابن الأشرف (أمه يهودية من بني النضير وأبوه من طيئ)، وذلك بسبب هجائه الرسول ﷺ، قتله محمد بن مسلمة، ثم غزا المسلمون بني النضير (داخل المدينة) لإرجافهم وتحالفهم مع المشركين يوم أحد، فأخرجوا من المدينة إلى خيبر، وكان من قادتهم سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب، ومن الجدير بالذكر أنه قد دخل في الإسلام من بني النضير رجلان، وهما يامين بن عمر وأبو سعد ابن وهب، حيث بقيا في المدينة. وقد كان الرسول ﷺ يستعمل كتبة يهودًا بالسريانية والعبرية؛ لتبليغ دعوته، فلما أجلى اليهود أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم تلك اللغات.

(١) صابر طعيمة: التاريخ اليهودي العام، الجزء الثاني، ص٩ -٣٩، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.

وفي غزوة الخندق أحاطت قريش بالمدينة ومعها أحزابها ضد المسلمين، فنقض بنو قريظة العهد مع المسلمين، فاشتد خوف المسلمين وهؤلاء بين ظهرانيهم، ولكن إرادة الله قد أفشلت تجمع الأحزاب، وقد حفر المسلمون خندقًا حول المدينة بنصيحة من سلمان الفارسي رضي الله عنه، فبعد تشتت الأحزاب ورجوعهم عن المدينة غزا المسلمون بني قريظة، وقد نصحهم زعيمهم كعب ابن أسد بالدخول في الإسلام، إلا أنهم أبوا ذلك عدا القليل منهم دخلوا في الإسلام، ذكر منهم رفاعة بن سموءل وثعلبة وأسيد ابنا سعية، وأسد بن عبيد عمهم، وعمرو بن سعدي، وبهذا أخليت المدينة من اليهود وصودرت أسلحتهم وبقي يهود في خيبر خارج المدينة، وكان منهم من اشترك يوم الأحزاب في حصار المدينة أو حرض عليه، فعمد المسلمون إلى قتل رؤوسهم، منهم أبو رافع سلام بن أبي الحقيق وأسير بن زارم.

وبعد أن تم للمسلمين صلح الحديبية مع قريش غزا المسلمون خيبر، وكان اليهود قد طلبوا النجدة من بعض القبائل العربية، فهبت غطفان لنجدتهم بزعامة عيينة بن حصن الفزاري، وقبيلة أسد بزعامة طليحة بن خويلد الأسدي، وقد امتنعت بنو مرة بزعامة الحارث بن عوف من الاستجابة، وقد أرسل المسلمون من أخذ يخذل هذه القبائل على نصرة اليهود، وقد كانت حصون خيبر كثيرة، منها الصغير ومنها الكبير، فحاصرها المسلمون وعرضوا عليهم الإسلام قبل خروجهم، وقد وقع بأيدي المسلمين صحائف من التوراة، فأمر الرسول ﷺ بإعادتها إليهم، وفي حصن ناعم قتل محمد ابن مسلمة سلام بن مشكم، وقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه الحارث بن زينب، وتذكر المصادر أن اليهود نزلوا للصلح مع المسلمين مقابل غلاتهم، على أن يخرجوا من خيبر متى أراد المسلمون ذلك، وتبع ذلك سقوط حصون

فـدك ووادي القـرى وتيماء كما هو الحـال بخيبر، وجرد جميـع اليهود من أسلحتهم[1].

وممـا لا شك فيه أن هذه الأحـداث تركت آثـارًا لأدوار سرية قام بها اليهود ضد المسلمين.

اليهود في عهد الخلفاء الراشدين:

بقـي عدد كبير من اليهود في الجزيرة العربية، حتى في المدينة وخيبر وفـدك ووادي القـرى وتيماء وجربـا وأيلة ونجران واليمـن، إضافة إلى من ذهـب منهم إلـى الشام والعـراق، ولكنهم يبدون جماعـات صغيرة مشتتة، ولكنهـا بقيت حاقدة على المسلمين، وأنهـم وإن لم يشتركوا في حرب الردة، لكنهـم ناصروا بعضـ المرتدين، فتذكر بعض المصـادر: أن من بين الأسرى المرتدين كانت امرأة يهودية. وقد ذكر أن جماعة من اليهود ناصروا طليحة الأسدي ادعى النبوة بعد وفاة الرسول ﷺ.

بقـي اليهـود في عهد أبي بكـر الصديق رضي الله عنه على عهودهـم السابقة، وأضـاف أبـو بكـر رضي الله عنه عهـده إلـى يهـود ونصـارى نجـران. ويبـدو أن المسلمـين كانـوا يستعملـون أهـل الذمـة ومنهـم اليهـود كتبـة لمعرفتهـم بالكتابـة، فلمـا فتحت العـراق والشام ومصـر، واستكملت تلـك الفتوحات في عهـد عمـر بـن الخطـاب رضي الله عنه أحـس بكـثرة استعمـال أهـل الكتـاب، وخشـي علـى المسلمـين أن يؤتـوا من هـذا الجانب، فبـدأ بتطهـير جزيرة العـرب منهـم؛ تنفيـذًا لمـا أوصـى بـه رسـول الله ﷺ كما يذكـر، فأجلى عمـر رضي الله عنه يهود خيبر وقسمها بين المسلمـين، وكان معهم أربعة أقسام هم:

(١) المصدر السابق: ص٣٩.

فروة بن عمرو البياضي، وحباب بن صخر السلمي، وأبو الهيثم بن التيهان، وزيد بن ثابت، فباع اليهود متاعهم وحملوا معهم ما يريدون إلى سوريا وأريحا، ويقال: إن عمر دفع إلى يهود فدك نصف القيمة، وأبقى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يهود تيماء ووادي القرى.

ودخل نصارى نجران ومعهم بعض اليهود في الإسلام، فاستبقوا بمكانهم إلا أنهم كما ذكر ارتدوا بعد ذلك. مع أنه قد كتب لهم أمانًا لمن بقي على دينه، ويبدو أن الفتح الإسلامي قد شجع أهل الكتاب في الجزيرة العربية على الخروج إلى البلاد المفتوحة، ليبتعدوا عن مركز الخلافة، ويتواروا مع جموع أهل الشام والعراق ومصر، حيث إن هؤلاء أكثر تقبلًا لهم لما سبق من سكنى اليهود والنصارى لهذه البلاد واستيطانهم بها وتقبل أهل تلك البلاد لهم ولعقائدهم، وهذا يفسر كيف انتقلت الأفكار اليهودية بسهولة إلى كثير من الفرق الإسلامية، كما سنوضح ذلك.

وقد منع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دخول أي سبي إلى المدينة إن كان بالغًا خاصة، وقد كثر السبي بأيدي المسلمين واتخذوهم خدمًا وعمالًا، فكتب له المغيرة ابن شعبة أمير الكوفة يستأذنه إرسال غلام ذي صنعة جيدة، فأذن له، وكان اسمه أبا لؤلؤة وكان فارسيًّا، فلما دخل المدينة شكا لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شدة الخراج المضروب عليه من الوالي، فلم يجبه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لاقتناعه بعدالة ما ضرب عليه، لكن الغلام حقد على عمر وهجم عليه وهو يصلي فجرًا وطعنه ثم انتحر، وتذكر الروايات أن الذي شجعه على هذه الفعلة وأمده بالخنجر الهرمزان (الفارسي) وجفينة النصراني (من الحيرة)، وهما بالمدينة منذ زمن، ويقال: إن كعب الأحبار وقد كان يهوديًّا من اليمن، فأسلم في عهد

عمر رضي الله عنه سبق أن تنبأ لعمر بمقتله، وادعى بوجود ذلك وصفته في التوراة، ولكعب هذا دور كبير في إدخال الإسرائيليات قصص وخرافات، تلقفها منه المفسرون على أنها من علم أهل الكتاب، وهذا يدل ربما على علم كعب بما كان مبيتًا لعمر رضي الله عنه إن صحت الرواية، وليس من المستبعد على اليهود وهم أهل دسائس وحيل اشتراكهم في مقتل عمر، حتى تهيأت الإداة الفارسية المباشرة بقتله، فاليهود كانوا أكثر حقدًا وضغينة على عمر رضي الله عنه من أي من الخلفاء الراشدين.

ولعبد الله بن سبأ والسبئية دور في مقتل الخليفة عثمان بن عفان، ودور اليهود والفرس في مسلسل التآمر ضد المسلمين وخلفائهم واضح، فبرغم دخول ابن سبأ اليهودي اليمني في الإسلام لكن لم يحسن إسلامه، فتظاهر بالتقرب إلى الخليفة علي بن أبي طالب، واندس بين مريديه إلى أن وثق منه الخليفة «حتى أجلسه تحت درجة منبره» كما تقول الروايات، وذكرنا كيف كان هناك دور السبئية في إشعال حرب الجمل بين المسلمين.

وإن من نتائج أعمال ابن سبأ وآرائه التي بثها بين المسلمين مقتل الإمام علي نفسه، فلم يكن ابن سبأ محبًّا لعلي رضي الله عنه وآله، فأفكاره التي بثها بالرجعة (علي رضي الله عنه لم يمت بل سيرجع) والوصاية أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى لعلي رضي الله عنه بعده، وهو أول من قال بالوقف على ما ذكر النوبختي في كتابه فرق الشيعة، والقول: إن عليًّا «يجيء بالسحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه» هي نصوص منقولة عن اليهودية في حق إلههم.

إن اليهود الذين دخلوا الإسلام خاصة كابن سبأ وكعب الأحبار وغيرهم أدخلوا كثيرًا مما يسمى بالإسرائيليات في الفكر العربي والإسلامي، لقد

كان الإسرائيليـون يقدسون زيت الزيتون بوصفه شجرة مباركة في موطنهم، فكانوا حينما ينصبون عليهم ملكًا يقومون بمسحه بالزيت علامة على البركة، واتخذت عبـارة المسيح الملك المخلص أو المحرر شعبه من الظلم والاستبعاد، وشاع في كتبهم التنبؤات بظهور مخلص لهم، كما أكثروا من التنبؤات المتعلقة بما يصيب الملوك والأشخاص ووقوع الحوادث والكوارث، حتى التنبؤ بمصير العـالم كله، وأكثر هـذه التنبـؤات وردت في كتاب دانيال الـذي كتب في وقت متأخر (القرن الأول الهجري)، وكان لما ورد فيه أثر على المسلمين من نقولهم منه على اعتبار احتوائه على علوم الكتب القديمة، ويشبهه ما ذكر عن كتاب الجفـر المنسوب عند الشيعة إلـى الإمام علي رضي الله عنه، أو ينسبه بعضهم للإمام الصادق.

وقـد ذكـر أن عمر بن الخطـاب رضي الله عنه نهى كعب الأحبـار عن التحدث بالإسرائيليـات، وإلا نفاه إلـى أرض القردة، كما تقول الروايـة (إشارة إلى اليمن بكثرة القردة في جبالها).

والـذي يقرأ تفسير القمي هو تفسير شيعـي سبقت الإشارة إليه يجده يحمـل التفسيرات الباطنية والإسرائيليات والتنبـؤات، التي تعزى إلى علوم الأئمة ومصدرها الأصلي تلك الإسرائيليات، التي قال بها اليهود والنصارى، وربما أمم أخرى.

إن ذكر بعض أسماء الأنبياء وقصصهم في القرآن الكريم دفع بعضًا من الشخصيات الإسلامية التي كانت على معرفة بديانة أهل الكتاب، سواء مـن اليهـود ككعب الأحبـار ووهب بن منبـه وعبدالله بن سـلام إلى إعطاء تفاصيـل أكثر لهذه القصص وأماكنهـا وأشخاصها، معتمدين على علومهم

من التوراة والتلمود، وحتى أولئك الذين ولدوا لأبوين مسلمين اعتمدوا علوم أهـل الكتـاب ورواياتهم مثل محمد بـن إسحاق صاحب السـيرة، الذي كان يسمي أهل الكتاب بأهل العلم الأول.

ومحمـد بـن السائـب الكلبي وابنـه أبو المنـذر هشام وغيرهـم نقلوا الإسرائيليـات التي امتلأت بها كتب التفسـير والسير والتاريخ. وقد ذكر أن اليهـودي أبا يعقـوب وكان يهوديًّا من تدمر كان يـزور ابن الكلبي وغيره من الإخباريين، ويزودهم بأخبار أهل الكتاب.

وذكر الطبري في تفسيره: أن أناسًا من اليهود كانوا قد كتبوا كتبًا من عندهم يبيعونها إلى العرب، ويدعون لهم أنها من عند الله؛ ليأخذوا ثمنًا قليلاً[1].

وشخصيـة أخـرى لهـا أهميـة في إدخـال الإسرائيليـات وادعاء علم الأقدمـين هو وهب بن منبه، وكان يهوديًّا من أصل فارسي، فوالده من هراة بخراسـان، ثم انتقل إلى اليمن بأمر من الملك كسرى أنو شروان، وربما كان قد أسند إليه أمرًا مهمًّا في أثناء حكم الفرس لليمن. وقد نشأ وهب بن منبه في اليمـن، وأسلـم على عهد رسول الله ﷺ، وولي القضـاء في عهد عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه، وتوفي سنة ١١٤ هـ. ومن البلايا التي نقلها وهب إلى الفكر الإسلامـي مبكرًا القـول بالقدر، حتى ذكر أنه قد رجـع عنه، وجر الحديث بالقـدر إلى الجـبر، وهكذا إلى فروع الكلام المعروفـة، التي شغلت المسلمين وكان مصدرهـا في الأصـل علم أهـل الكتاب وخاصة اليهـود. والمتتبع لكتب التفسـير يقرأ العجب لمـا نسب لكعب الأحبار أو وهب بـن منبه من أساطير وخزعبـلات وأسماء (مثـل أسماء أهل الكهف واسـم كلبهم الذي قال لهم: ناموا سأحرسكم) تقبلها مع الأسف كثير من المفسرين دون إنكار.

(١) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ١، ص٢٢٦.

تذكـر بعض الروايـات أن الجعد بن درهـم أخذ القول بخلـق القرآن عـن أبان بـن سمعان، وهذا أخذ القول عن طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم اليهودي الـذي كان يقول بخلق التوراة. كما ذكر أيضًا أن والد بشر المريسي الذي ينسب إليه أيضًا القول بخلق القرآن عند المعتزلة كان يهوديًّا.

تذكـر مصـادر الشيعة القديمـة أن الصحابي سلمـان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو مـن أصحاب علي بن أبـي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويذكر ابن هشـام في السيرة أن سلمان الفارسـي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان من أهل مدينة أصبهـان الفارسية، وكان يوقد النار في بيت أبيـه للعبادة.... ثم تنصر سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورحل إلى الشام حيث مركز النصرانية في ذلك اليوم، ثم تنقل بين كنائس الشام إلى أن جاء أرض العرب، فاسترقه من سافـر إلـى أرض العرب، وباعه ليهودي من المدينة، وقـد فاتته موقعة بدر وأحد وهو في الرق، حتى كاتبه سيده، وتخلص من العبودية [1].

لقـد ادعى بعض رجال الشيعـة الذين تأثروا بتعاليـم التوراة أن اسم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاء ذكـره في التوراة والإنجيل والزبور، و... قد سمي عند اليهود (إليا) وعند النصارى (إلياء)... وجاء وصفه في التوراة بالأصلع المصفر، وقالوا: إن محمد بن علي مذكور في التوراة بالباقر[2].

إن كتـب اليهود والنصـاري القديمة كانت مملوءة بالتنبـؤات، ومنها التنبـؤ بالغيبيـات، وقد وردت مثـل تلك التنبـؤات على لسـان بعض العرب المسلمـين، الذين استقوا تلك التنبؤات من أهل الكتاب، أمثال وهب بن منبه وكعـب الأحبار وتميم بن أوس الـداري. ومثل تلك التنبؤات ماذكر عن شيوع

(١) ابن هشام: السيرة، جـ١، ص ٢٢٨ - ٢٣٦.

(٢) الصدوق بن بابويه، علل الشرائع، جـ١، ص١٣٦. الطبرسي، احتجاج جـ١، ص٣٠٨، ابن بابويه، التوحيد، ص١٨٠.

الهـرج والفتن آخر الزمان، وما أحيط بخروج الدجال من تنبؤات وقصص. وقـد نقـل في بعض السنن أن رجـلاً يهوديًّا من أهل المدينـة اسمه صاف بن الصائـد، قال عنه الرسول ﷺ: «**إنه هو الدجال**». وكان يقاتل مع المسلمين. وذكـر أن أحد اليهود أخبر الخليفة عمر رضي الله عنه بأن الدجال سيخرج من قبيلة بنيامين (يهودية)، وأن العرب سيقتلونه على باب لد[1].

ونخلص من هذا البحث أن الشيعة ليسوا وحدهم قد وقعوا تحت تأثير الفكر اليهودي، بل إن الكثير من الفرق الإسلامية لم تسلم من ذلك.

لقـد قـام الكثير من رواة الشيعـة بالدور نفسه الذي قـام به وهب بن منبـه وغيره في إدخال معتقدات وأساطير في الفكر الشيعي، أصلها من تلك المذكـورة عند أهل الكتاب، ونسبت مع الأسـف إلى أئمة الشيعة كذبًا وزورًا، وتلقفهـا أهل الحديث ودونوهـا دون تمحيص ودرايـة، ويكشف التشابه بين الأفـكار الزرادشتية والمزدكية الفارسية، إضافـة إلى المعتقدات القديمة في العراق إلى قيام رواة الشيعة بنقل هذه الأفكار إلى الفكر الشيعي خاصة منه الفكر المغالي.

أثر اليهودية والنصرانية على الفكر الشيعي:

إن جميـع الفرق الإسلامية قد تعرضت لتأثـيرات من عناصر أجنبية مختلفـة في مراحل تطورهـا التاريخي، وتختلـف هذه المؤثـرات في قلتها أو شدتهـا، فبعضها يصل إلى حد الاقتباس المباشـر والواضح، الذي لا يحتاج

(١) فان فلوتن: السيادة العربية، ص١١٩. ويمكن مراجعة ما صح عن ابن الصائد في كتاب الفتن من صحيح مسلم.

معه إلى برهان، وبعضها يكون بشكل غير مباشر، بحيث تدخل على الفكرة بعض التحويرات والتعديلات المناسبة للمقام ولأصل العقيدة؛ لكي لا تناقضها، فيكون الاقتباس مرفوضًا، فينتهي في مهده ولا يبلغ أثره.

إن الفكر الشيعي قد تعرض لمؤثرات خارجية، خاصة بعد القرن الأول الهجري، حينما دخل في التشيع رجال غير عرب ذوو جذور من أمم مختلفة حملوا معهم داخل التشيع تراث أممهم وعقائدهم القديمة.

ولما كان التشيع قد نبت في العراق وخاصة في الكوفة والمدائن، وحمله بعد القرن الأول أقوام غالبيتهم من الموالي الفرس، فقد دخل على التشيع عناصر من تراث وثقافات الأمم القديمة في تلك المنطقة التي كانت موطن الحضارة الآشورية والبابلية والآكادية والسومرية والمندائية (الصابئة). ثم بعد ذلك دخلت عليها مؤثرات من ديانات سماوية كاليهودية والنصرانية، ولما كان الموالي الفرس قد تشبعوا بتعاليم دياناتهم الفارسية القديمة من زرادشتية ومزدكية، فإن الباحث يجب عليه معرفة هذه الديانات جميعًا وتطورها ومؤثرات بعضها على بعض، ثم دراسة رجال الشيعة الأوائل الذين شاركوا في بناء العقائد والأفكار الشيعية المدونة في كتب الشيعة القديمة؛ لإرجاعها إلى عناصرها الأصلية ودراسة التطورات والتعديلات التي أجراها أولئك الرجال على تلك الأفكار؛ لتلائم حاجاتهم ومنطقهم تمكنًّا من رصدها في دراستنا هذه. ولما كان هذا البحث مختصًا بالتأثير اليهودي على التشيع وحيث إن اليهودية بين العرب ليست فقط في يثرب التي سبق دراستها بل في اليمن والعراق فيحسن بنا إلقاء الضوء على هذه المناطق وكيف أثرت على الفكر الشيعي من هذا الباب.

الفصل الثالث

اليهودية في اليمن

نظرة تاريخية

لم يـرد إلينا إلا القليل عن القبائـل العربية البائدة كعاد وثمود، حاول بعض دارسي اللغـة السامية خاصـة تحليل النقوش التي عـثر عليها علماء الآثار[1].

إن طبيعـة اليمن الجغرافية من جبال ووديان جعلت منها قديمًا مجتمعات قبليـة منعزلـة، ثم تكونت في هـذه المجتمعات ممالك صغـيرة، أظهرت النقوش المكتشفـة وجود مملكة داهس ومهامـر وامر وذلك قبل القـرن الرابع الميلادي، ولكـن بمجـيء الملك كـرب أيل وتر السبئـي سنـة ٤١٠ ق. م أنهى هـذه الممالك الصغـيرة باليمـن، وقام بتوحيدها في ظل دولة سبئيـة واحدة تضم قبائل يمنية عـدة. وديانة هـذه الممالك قديمًا كانـت عبادة الشمس والقمـر ونجمة الصباح (عشـتر)، وبالنسبة لأصنام هذه القبائل يذكـر (ود) و(المقة) خاصة أن نسابة اليهـود يسمون جنـوب الجزيرة العربيـة (رعمة)، وقد ذكـرت في التوراة كتابة لكوشـ، ومن أولاد كوش عندهم شبآ (سبأ)، وفي سفر حزقيال من التوراة يذكر تجار من سبأ ورعمة يتاجرون ببضائع مع أهل الصور[2].

---

(١) محمود محمد الروسان: القبائل الثمودية والصفوية دراسة مقارنة.
انظر العصور: المجلد الثالث، جـ١، ص١٤١، ١٩٨٨م.

(٢) د. منذر البكر: دراسة في تاريخ اليمن، المؤرخ العربي، العدد ٤٠، ١٩٨٩م.

وذكر الإله (ذو سموي)، أي إله السماء يعبد عندهم في مملكة أمر أو أمير، ويوجد له معبد في مدينة (حنان)، وربما كان هذا المعبد يطلق عليه اسم (بقرم) (ذو سموي بعل بقرم)، وقد أعيد بناء هذا المعبد بعد سقوط معين وغزو مملكة أمير من سبأ[١].

إن اليهودية في اليمن كانت منتشرة ومعروفة قبل النصرانية.

يرى بعض الباحثين أن اليهودية أصلاً ظهرت في اليمن، وليس في فلسطين أو الشام، وقد بسطنا هذا الرأي عند استعراض رأي كمال الصليبي.

ويرى بعضهم أن اليهودية دخلت إلى اليمن مع الراجعين مع الملكة بلقيس بعد زيارتها إلى الملك سليمان في فلسطين، وقد حكى القرآن الكريم مقابلة الملك سليمان لبلقيس كما هو معروف، وفي التوراة فسر الملوك تفصيلاً أكثر لهذه المقابلة، وهذا يقدر في أوائل القرن العاشر قبل الميلاد. وفي رأي آخر أن اليهودية دخلت اليمن بعد خراب هيكل سليمان سنة ٥٨٦ ق.م. وهو ما يسمى بخراب الهيكل الأول، وقيل بل بعد خراب الهيكل الثاني سنة ٧٠ ق.م. حيث تشتت اليهود في الأرض ومنهم من جاء إلى اليمن ، وكل هذا مجرد اجتهاد، ولكن من الثابت والواضح وجود طوائف يهودية في اليمن منذ القرن الثالث الميلادي وانتشارها بين العديد من القبائل[٢].

ويذكر بعض مؤرخي التوراة اليهود أن العبرانيين بعدما هاجروا من أور في العراق إلى أرض كنعان (فلسطين) طلبوا من يهود اليمن الهجرة إلى فلسطين؛ للمشاركة في بناء الهيكل الذي هدمه الإمبراطور الروماني تيتوس سنة ٦٣ ق.م.

---

(١) د. منذر البكر: المصدر السابق،

(٢) د. كاميليا أبو جبل: يهود اليمن. ص١٦- ١٧. دمشق ١٩٩٩م.

وذكـروا أن هـذا مـا يشير إليـه سفـر التكويـن (٢١ و٣٤ و٢٦ و١ و٦)، ولكـن يهود اليمـن رفضوا الاستجابة لنـداء هذه الهجرة، فحلّـت عليهم لعنات الحاخامات، وسجل هذا اللعن فيما يسمى بدعاء الغضب[١]. ويبدو أنه منذ مطلع القرن الثالث الميلادي وحتى ظهور الإسلام تمتع اليهود في اليمن بحرية التجارة وصلاتهـم مـع الشام، مما عـزز نفوذ اليهـود اليمنيين بين القبائـل ومستويات مختلفة، ولكن فيما يبدو كان يهود حمير أكثر نفوذًا من غيرهم[٢]. وبسبب هذا الامتـداد انتشرت اليهودية في جنوب اليمـن بعد سقوط الدولة الحميرية، ولكن فيمـا يبـدو أن اليهودية في اليمـن عاشت أزهى عصورهـا في الدولة الحميرية، حيث أصبحت اليهودية في كثير من الأوقات دين الدولة الرسمي[٣].

وهذا يعنـي أن اليهودية صارت دينًا لكثير من عرب اليمن، وأن هؤلاء كانـوا على علم بهذه العقيدة، فلمـا دخلوا الإسلام حق لنا أن نتساءل ما هو أثـر عقيدة هؤلاء علـى الاتجاهات السياسية والفكريـة التي حصلت خاصة إبَّان الردة، ثم في القرنين الأول والثاني.

إن وجود اليهود في اليمن مرتبط منذ القدم بنمو التجارة، وكون اليمن تقع وسطًـا بين الهند وفارس من جهة والشـام والعراق ومصر من جهة أخرى، وما في هـذه المناطق من مراكز بحرية ومدنية. ومنذ القرن العاشر قبل الميلاد قام نبـي الله سليمان ببناء أسطول تجاري في البحـر الأحمر كان مقره في عصيون جابر[٤]، وبعد قضاء الرومان على نفوذ الفينقيين والبطالمة في البحر الأحمر.

(١) عباس علي الشامي: يهود اليمن، ص٣٤، ص١، ١٩٨٨م. سلسلة كتاب المسيرة اليمانية.

(٢) عباس الشامي: المصدر السابق، ص٣٤.

(٣) محمد علي الهواري: يهود اليمن، ص٧٠، جامعة الملك سعود.

(٤) د. حسن الباشا: المشكلة اليهودية من عهد سبأ إلى صدر الإسلام، المجلة العدد ٩ سبتمبر ١٩٥٧م، ص٨٨.

كما أضعف الرومان نفوذ السبئيين في اليمن بعد غزوهم سنة ٢٤ ق.م حاول الرومان أيضًا التخلص من نفوذ اليهود، فبدؤوا بتخريب أورشليم ومعابدها سنة ٧٠ م، وأرغموا اليهود على الشتات، فرحل منهم الكثير إلى اليمن، وحاولوا تأسيس دولة يهودية في سبأ بداية القرن السادس الميلادي.

واتصلت تجارتهم ونفوذهم بالجاليات اليهودية في يثرب ونجران، ولكن الرومان شجعوا المسيحية على الانتشار في دولة سبأ منذ سنة ٣٠٠م، وحدث الصدام اليهودي المسيحي في نجران، وقد ناصر ملك الحبشة المسيحي الديانة المسيحية وانتشارها في اليمن عندما غزا دولة سبأ سنة ٣٤٥م. فبنيت كنيسة في ظفار وفي عدن ومسقط ومضيق هرمز، لكن هذا النفوذ لم يستمر، فقد كانت مملكة سبأ تحت نفوذ التبابعة منذ سنة ٣٧٨م.

وقد استعاد الملك تبع حضرموت وريدان ويمنات من نفوذ المحتلين الأحباش: وهذا سبب رئيس في ميل كثير من ملوك تبع السبئيين إلى اليهودية نكاية بالأحباش المحتلين. فمن هؤلاد الملوك: (كرب يهامن) و (شرحبيل بكف). وقد عزز كل ذلك نفوذ اليهود في دولة سبأ مما شجعهم على التفكير في إقامة دولة يهودية في اليمن (أوائل القرن السادس الميلادي)، وفعلًا قام (يوسف اليهودي) الذي سمي فيما بعد بـ ذي نواس سنة ٥٢٢م، فاغتصب عرش سبأ وضيق على المسيحية، فانتشرت اليهودية في عهده، وتحالف مع الفرس ضد الرومان مما دفع ملك الحبشة الأصبح مهاجمة ظفار وهزيمة ذي نواس وهروبه إلى الجبال، ولكن ذا نواس بعد أن رجع الحبشي إلى بلاده عمد إلى مهاجمة ظفار، وخرب كنيستها، وتخلص من مقاومة النفوذ المسيحي في جنوب اليمن، ثم عمد إلى غزو نجران عن طريق أحد قواده المدعو (سرحثل يقبل ذو يرأن). سنة ٥٢٤م، الذي قام بمقتلة كبيرة وتحريق للمسيحيين

(أصحاب الأخدود). ولكن ملك الحبشة (الأصبح) عاد مرة أخرى إلى اليمن وهزم ذا نواس وقضى على الدولة اليهودية في مهدها وقبل أن يستشري أمرها. ومن هنا سقطت دولة سبأ، وانتقل مركز الثقل العربي إلى مكة ويثرب. حيث كانت قد ظهرت أمارات النهضة على يد الحنيفية أو الإبراهيمية[1].

مملكة حمير

كانت حضرموت تعرف قديمًا بالأحقاف، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ (الأحقاف: ٢١) والمقصود بـ (أخا عاد) هو نبي الله هود عليه السلام، كانت حضرموت قديمًا إمارات صغيرة (محافد) يديرها (الأقيال) أي الأمراء، ومن أشهر هذه المحافد شبام وهينن والشحر والعروض ودمون وعندل. فعندما ضعفت دولة سبأ تغلب عليها الحميريون المقيمون خاصة في ريدان (ظفار)، وضموا حضرموت إلى مملكة حمير، أتينا على ذكر هذه النبذة لورود الإشارة في هذا البحث إلى أن من أدلة بعض الباحثين على قدم اليهودية في اليمن وجود أصحاب النبي هود الذي ذكرهم القرآن الكريم واسم اليهودية كما يقولون مشتق من هود[2].

يعود الفضل للحميريين قديمًا في توحيد اليمن تحت سلطة سياسية واحدة، وذلك بفضل نشاطهم التجاري.

واستمرت الدولة الحميرية إلى ما قبل الإسلام بقرنين تقريبًا، فقد سقطت في القرن الخامس الميلادي، وتفككت اليمن بفعل ظهور قوى محلية

(١) د. حسن الباشا: المصدر السابق، ص٩٠ وما بعدها.

(٢) انظر آراء كمال الصليبي الواردة في هذا البحث.

كثيرة، ساعدها على ذلك الطبيعة الجبلية لليمن، ولكون الأمطار تسقط صيفًا غالبًا، فقد اهتم الحميريون بتنظيم السدود والخزانات للمياه، فكانت منطقة حمير تنتج الورس في منطقة الكلاع يحصب وشيحان ووادي الجنات، وتنتج الزعفران في جبل صبر ووادي نخلة.

وفي ذمار ينتج ويستخرج الذهب والعقيق والجَزع. وقد كانت صناعة الخرز والحلي منتشرة في صنعاء وظفار. وكانت الأسلحة من أهم صناعات حمير، وقد طوروا صناعة الرماح من الحديد، كما طوروا صناعة الجلود لكثرة ما لديهم من ماعز وأبقار، وبرعوا في صناعة النسيج وتلوينه بالتحبير والوشي.

ذكر أهل الأنساب في منطقة حمير قبائل عدة جميعها نسبت لحمير منها الأصابح في عدن ولحج، والمعافر في جبل صبر، والكلاع في زبيد ورعين، وآل ذي يزن وذي رعين في لحج، ومرخة وعبد كلال والأوزاع في ذمار، والعواسج في جرش، وكل هذه القبائل كانت تدعى بحمير. كان يسكن معهم قبائل أخرى، بعض منهم من كندة خاصة السكاسك والسكون من بطونها، وبعض الأشاعرة (مذحج) في رعين والمعافر، وبعض المهرة وقلة من همدان نخص منهم من آل ذي مران في المعافر. وآل ذي لعوة، وبعض من خولان في مخلاف ذي جرة. وكان النظام القبلي في اليمن قويًّا يدل عليه تسمية الدول التي سادت قديمًا بأسماء القبائل ذات السيادة على من حولها: كدولة حمير وسبأ ومعين. وأكثر قبائل اليمن كانت منقسمة بين حضر وبادية.

وأكثر مدن اليمن يتبعها أو يسكن حولها بادية، فمدينة رداع باديتها من الربيعيين والزياديين وبني حبيش في زبيد ومدينة الكدراء باديتها من عك. ومدينة جيشان باديتها من سبأ الصهيب، ولهذه البادية أهمية قتالية،

فإضافة إلى ولائها إلى القبيلة عمومًا لكنها محورٌ قتاليٌّ يستنجد بها الملوك أو المدن حين الضرورة، وهذه البادية عمومًا كانت تشكل ضغطًا سياسيًّا واقتصاديًّا على المدن وعلى الممالك، التي قامت قديمًا لما لهم من روح قتالية تدفعهم لذلك الحاجة والجوع.

واستنتج الدكتور نزار الحديثي[1] أن لفظ «الأحمور» ربما كان يطلق على سكان القرى المزارعين من قبائل عدة، مثل أحمور همدان، فمنهم من دخل في قيالة حمير مثل قيل رعين وقيل معافر وقيل همدان. وذكر أن من قبائل الحمور ذا مرارة وذا لعوة وأذواء همدان. وقيل: بل منهم الصائديون وآل ذي بارق والسبيع وآل ذي حدان وآل ذي رضوان وآل ذي مران.

ويبدو أن كثيرًا من المدن اليمنية والقرى كانت تحوي أخلاطًا من أصول قبلية شتى جمعتهم ظروف التعايش والحاجة، فاشتغل بعضهم في الزراعة والصناعة والحياكة والدباغة وصناعة الأسلحة. وهذه حرف كانت القبائل الشمالية تأنف من القيام بها، وقد ظهر ذلك واضحًا في مجتمع الكوفة، فقد لقب محمد بن أبي بكر الصديق معاوية بن حديج بابن اليهودية النساجة. ووصف الحجاج عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بابن الحايك. ووصف خالد بن صفوان أهل اليمن حينما تجمعوا في حرب ضد قومه: «ما منكم إلا دابغ جلد، أو ناسج برد، أو سايس قرد، أو راكب عرد»[2].

أنتج ضعف الدولة الحميرية ظهور سلطة فارس بالأذواء وهي سلطات محلية في مناطق نفوذ مختلفة، بدأت تسيطر بالتدريج بعد ضعف الحميريين خاصة في عهد الملك ذي نواس، حيث شجع الحال دولة الحبشة على احتلال

(١) د. نزار الحديثي: أهل اليمن، ص٧١.

(٢) د. نزار الحديثي: أهل اليمن، ص٧٥.

اليمـن بالتنسيـق مع الدولـة البيزنطية بعـد حادثة نجران، التـي قتل فيها نصارى نجران. وبالرغم من أن أقيال اليمن من سبأ وكندة وغيرهم تصدوا لغزو الجيش، لكن تم للأحباش السيطرة على اليمن، بل إن بعضهم شارك في الجيش بقيادة أبرهة في حملته ضـد حضرموت، التي كانت بقيادة يزيد بن كبشة. بل ذكر أن بعض الأسر اليمنية صاهرت بعض الأحباش، وقد أنتج هذا الوضع غيـاب السلطة المركزية وتركز قوة القبيلة كل في منطقته، وكان آل يـزن أو ذي يزن أهـم أكبر قوة تصدت للأحباش، ولهذا فقد تحالفت مع الدولة الساسانية الفارسية لطرد الأحباش عن اليمن، وفعلًا طرد الأحباش، لكن ذلك كان على حساب قوة النفوذ الفارسي في اليمن، فكان سيف بن ذي يزن يدفع جزية للفرس مقابل ذلك، وأدت شدته في الحكم إلى تمرد القبائل عليـه، مما دفـع الفرس مجددًا لتجهيز حملة ثانية علـى اليمن؛ لإخضاعها بشـكل مباشـر، وأن تكون تحت حكم نائـب الملك الفارسـي، وتحويل اليمن إلـى إقليم تابع لفارس، ولنائـب الملك جيش من الأساورة الفرس، خاصة في صنعـاء وعدن، ممـا أدى إلى هجرة كثير من الفرس إلـى العيش في اليمن، خاصـة في عدن والجنـد ورداع وأثاث وذمـار والبون في غفـار، وكانت أسر باذان هي الحاكمة تقريبًا يساعدها أسر فارسية أخرى.

لقد وجـدت الديانة اليهودية في عهد الاحتـلال الفارسي لليمن حرية كبـيرة، فانتشـرت اليهودية في بعض قبائـل ككندة وحمير وهمـدان، بل إن بعضـ الأبناء من الفرس اعتنقوا اليهودية، وهـذا يفسر التحالف السياسي الديني بين الفرس واليهود من جهة، وبين النصرانية والدولة البيزنطية من جهة أخرى، وتقاتل الفريقين على النفوذ.

ومع وجود الحكم الفارسي احتفظت قبيلة حمير لنفسها ببعض النفوذ في مناطقها، وخاصة ما يدعى بإذواء حمير مثل سلامة ذي فاش في حصن أرباب، وذي الكلاع وذي يزن زرعة بن عامر، وذي أصبح في لحج وذي رعين.

وأمام هذا التفكك ظهرت سلطة القبائل اليمنية البدوية وشكلت بينها تحالفًا مثل تحالف المنتسبين إلى مذحج من زبيد بقيادة عمرو بن معد يكرب الزبيدي، والحارث بن كعب بقيادة الحصين بن فنان بن زيد الحارثي، وبني عبد المدان بقيادة يزيد، وخولان بقيادة عنبسة بن يزيد الخولاني، وقد ضعف نفوذ الفرس في اليمن بتنامي قوة القبائل اليمنية المنافسة لهم، خاصة الأذواء من حمير وغارات قبيلة تميم على طريق التجارة المار باليمامة، وحركة المثنى بن حارثة الشيباني في العراق ضد الفرس، وأمام هذا الخطر حاول الفرس التحالف مع قبيلة همدان، في حين كان تحالف مذحج في نجران ضد الفرس.

كان حليف الفرس عمرو بن الحارث بن الحصين الشاكري البكيلي وعمرو بن زيد بن الربيع الحاشدي، وكلهم من همدان تحالفوا مع باذن الحاكم الفارسي المباشر لليمن، وقد تسبب هذا الحلف في خلاف شديد بين همدان ومذحج، وكانت مراد من مذحج، وكان بين مراد وكندة حلف، هذا إضافة إلى تحالف مذحج ضد الفرس.

وفي أول دخول الإسلام لليمن تم صلح الرسول ﷺ مع نجران، كما يبدو أن الرسول ﷺ ركز كثيرًا على دخول حمير الإسلام، وقد أدرك باذان ضعف القوة الفارسية في اليمن وعدم قدرتها على الصمود أمام التطورات الجديدة، وتذكر الروايات أن كسرى ملك الفرس أمر باذان بأن يرسل من

يقتل الرسول ﷺ . وقد مات كسرى ودخل باذان في الإسلام، وكان موقف همدان منقسمًا، منهم من ناصر الأبناء من الفرس، ومنهم من ناصر المسلمين[1].

أما أرض سبأ (الجوف) التي فيها سد مأرب الواقعة شرقي صنعاء فإنها تقع بين حضرموت جنوبًا ونجران شمالًا، وهي قليلة المياه، ولذا يعمد أهلها إلى عمل السدود والخزانات، وذكر فيها الذهب والفضة في منطقة السر كان يملكها حين ظهور الإسلام ابن المروية شيخ من مذحج، وفيها الطريق التجاري من شبوة إلى وادي حريب إلى مأرب فنجران.

وأهم مدنها مأرب وبراقش (معين) وقرن، وأكثر سكانها كانوا من مذحج، مثل مراد وعنس وسعد العشيرة، وكانت هذه القبيلة قوية دفعت همدان والفرس إلى التحالف ضدها؛ لإبعاد خطرها عن مناطقهم خاصة حينما استوطن بنو عبدالمدان وهم من مذحج بعد أرض همدان.

أما تهامة المسماة ببلاد حكم وعك والأشعريين وبني مجيد فهي سهول ضيقة بين البحر الأحمر وجبال السراة، وتنحدر من السراة أودية تصب في البحر الأحمر.

يذكر بعض الإخباريين العرب أن أول من أدخل اليهودية إلى اليمن هو الملك الحميري تبان أسعد أبو كرب، حيث تشير بعض الروايات العربية واليونانية أن هذا الملك عندما غزا مدينة يثرب التقى فيها ببعض أحبار اليهود، ويبدو أنه أعجب بما لديهم من علم، فجاء بهم معه إلى اليمن.

(١) المصدر السابق: ص٩٣ وما بعدها.

وشاع خبرهم بين اليمنيين، فقيل: إنهم امتحنوا علمهم وصدقهم فصدقوهم وبهذا انتشرت اليهودية بين بعض قبائل اليمن[١].

ويذهب رأي آخر إلى أن أصل الوجود اليهودي في اليمن يرجع إلى هجرة بعض يهود العراق، وبعد الغزو البابلي المعروف لأورشليم من قبل نبوخذ نصر[٢] (٥٨٦ ق. م.).

وفي أوائل القرن السادس الميلادي وبعد انتشار النصرانية في اليمن أخذ رجال الدين النصارى واليهود كل يتبارى في نشر دينه، ففي عهد الملك الحميري ذي نواس اشتد الهجوم على النصرانية، وأعلى شأن اليهودية، وبلغ بهذا الملك أن هجم على نصارى نجران، فأحرقهم في أخدود ورد ذكره في القرآن الكريم.

وذكر كوركيس عواد خبر القديس الحارث وشهداء نجران (راعي كنيسة نجران) ناقلًا من نسخة خطية ضمن مجموعة في دير البلمند بلبنان، وهو خامس ما في المخطوطة المكونة من أربعين صفحة، ترجع كتابتها إلى القرن الثامن عشر الميلادي، وهي رسالة كتبها شمعون إستيف بيت أرشم، توضح الاضطهاد الذي لاقاه نصارى نجران على أيدي يهود حمير سنة ٥٢٤م. نقلها من السريانية إلى العربية الخوري يوحنا جس عزو[٣]. ولا يمكن فصل هذه الحادثة عن الصراع السياسي القائم آنذاك بين الفرس والبيزنطيين، حيث توجه الأحباش النصارى على إثر انكسار شوكة الدولة الحميرية في اليمن إلى بناء كنيسة القليس في صنعاء بجهد من أبرهة الذي هاجم مكة عام الفيل المشهور.

(١) د. كاميليا أبو جبل: يهود اليمن، ص١٧.

(٢) محمد علي الهواري: يهود اليمن، ص٦٨. جامعة الملك سعود.

(٣) انظر مجلة المشرق سنة (١٩٥٤) العدد ٣١ (١٩٣٣) ص٣٢١.

مساكن اليهود في اليمن ومواقعهم

إن وجود اليهود في يثرب يرجع عند أكثر المؤرخين إلى الهجرة اليهودية من الشام سنة ٧٠م بعد طردهم من قبل الرومان وتهديم هيكلهم في أورشليم، وقد سبقوا الأوس والخزرج السكن في يثرب، وما حولها من وادي القرى، وبعد انكسار سد مأب ونزوح الأوس والخزرج إلى يثرب لم يرحب بهم اليهود، بل عارضوا نزولهم، وقد قيل: إن مالك بن العجلان الخزرجي ذهب إلى ملك الغساسنة يطلب المساعدة، فعاد إلى يثرب بجيش على رأسه جبلة ابن الأيهم ليؤدب اليهود، وقيل: إنه قتل منهم بضعة وثمانين رجلًا[1].

كما تركز الوجود اليهودي في عدن منذ القدم لما لهذا الثغر البحري من أهمية في التجارة، فقد وجد في عدن تجار يهود يملكون سفنًا تجارية تذهب إلى الهند وإلى البحر المتوسط، وقد امتدت سيطرة اليهود على تجارة عدن حتى الاحتلال البريطاني للخليج العربي، فكان الإنكليز يفضلون التعامل مع يهود عدن شأنهم شأن التعامل مع يهود العراق والبلدان الخاضعة تحت نفوذهم كمصر وغيرها. وتركز اليهود في حي كريتز في عدن، وفي مدينة حضرموت كان يسكن فيها كثير من اليهود.

وكان نقيب التجار يهوديًّا يدعى مضمون بن يافث يملك سفنًا للإبحار مع الهند ومواني البحر المتوسط.

وفي صنعاء كان لليهود وجود قديم خاصة في حارة (قاع اليهود) حيث تقع غرب صنعاء، وقد سميت اليوم بقاع العلفي. كما عاش اليهود في ناحية ظليمة التابعة لقبيلة حاشد، وسكنوا أيضًا حول المدايرة وحول مدينة الحبور.

(١) عباس علي الشامي: يهود اليمن، ص٣٦ المسيرة اليمانية ط١.

وسكنوا أيضًا في حارة الجاثة في مدينة إب. وسكنوا في قرية خاصة بهم تسمى الجدس، وكذلك كانوا في حارة المكعدة في جبلة قرب مدينة إب. كما سكن اليهود في قرية جحران في فضاء النادرة، واليهود منذ القديم متوزعون في جميع مدن وقرى اليمن، ومن الصعوبة إحصاء تلك المساكن، وقد قدر بعضهم وجودهم في ٣٥٠ قرية يمنية[١].

والسبب في هذا العدد الكبير هو اتساع انتشارهم في اليمن، فلو أخذنا مثالاً على وجودهم في قاع اليهود الذي ذكرناه في صنعاء لوجدناه يحتوي على حارات لهم عدة، وهي: حارة الوادي، وحارة مسعود، وحارة الريشة، وحارة المشماعة، وحارة مسخ ، وحارة البوساني، وحارة الذماري، وحارة الكحلاني، وحارة الصبيرة، وحارة غارقة، وحارة حيارة وغياث، وحارة سيناي، وحارة الشيخ، وحارة الريعاني، وحارة السوق، وحارة صالح، وحارة قارئة الأسطى، وحارة الطيري، وحارة الخارجة والمطيبين.

وهذا يدل على تغلغل اليهود منذ القدم في المجتمع اليمني، وتقبل اليمنيين لهم عمومًا إلا ما جرى على سبيل الاستثناء. هذا وليس من شأن البحث تقصي تاريخ اليهود في اليمن خاصة في العصور الحديثة، طالما أن هدف البحث هنا أن نبين للقارئ الكريم أثر الفكر اليهودي على عرب اليمن أفرادًا وقبائل قبل الإسلام وبعده في القرون اللاحقة، وكيف كان بعض الشيعة العرب اليمنيين خاصة الجسر الذي عبر منه الفكر اليهودي إلى التشيع.

*****

(١) المصدر السابق ص٣٩- ٤١. وانظر أيضًا كاميليا أبو جبل: المصدر السابق، ص١٩.

أثر الفكر اليهودي على اليمنيين

لا نملك الكثير من المعلومات عن أوضاع يهود اليمن الفكرية إبَّان القرون الأولى الهجرية، ولكن أوضاعهم اللاحقة لهذه الحقبة تلقي الضوء على ممارسات يهود اليمن الفكرية، وحريتهم في العبادة والعمل، وإقامة المعابد. وعند تأسيس الإمامة الزيدية في اليمن على يد يحيى الهادي للحق، سمح هذا الإمام لليهود بحرية العبادة والتجارة والزراعة، شريطة أن يدفعوا الجزية. وفي هذه المدة وما تلاها من الحكم الزيدي تمتع اليهود بحرية التجارة، فأقاموا الصلات التجارية مع يهود مصر والشام، حتى وصل نفوذهم إلى أن أصبح نقيب التجار مضمون بن يافث اليهودي ذا نفوذ كبير، يملك سفنًا تجارية لاستيراد البضائع من الهند والصين ومصر، ومن نتائج هذه الحرية أن ظهر سنة ١١٧٢م مبشر يهودي ادعى أنه المخلّص الموعود. ويبدو أن لهذا الرجل تأثيرًا على مصالح اليهود اليمنيين؛ لأنه أشاع أكاذيب وخرافات دفعتهم إلى الشكوى إلى مرجع يهودي كبير في مصر، من أجل أن يبطل فاعلية هذا المدعي، وهذا المرجع هو موسى بن ميمون كان رابيًا وطبيبًا لأحد وزراء صلاح الدين الأيوبي. وقد أسدى ليهود اليمن طيلة ما يقرب من عشرين سنة النصح والتوجيه، فكتب رسالته المشهورة بـ: (رسالة اليمن)[1].

ومع نشاط اليهود التجاري السالف جلبوا معهم إلى اليمن ما في التراث الفكري اليهودي في الشام ومصر بكلتا اللغتين العربية والعبرية وربما الآرامية، واشتهر في هذه الحقبة يهود منطقة ذمار بالتفسير الرمزي الباطني لما ورد في التوراة خاصة، يدل على ذلك ما كتبه يهود صعدة منتقدين يهود ذمار على هذا المنهج. وقد أوغل يهود اليمن منذ القرن السابع الهجري بالتفسير الرمزي

(١) كاميليا أبو جبل: يهود اليمن، ص٢٠، دمشق ١٩٩٩م.

والتأويل الباطني، ساعدهم على ذلك دراسة الفلسفة اليونانية والمنهج الغنوصي القديم في التفسير، وهذا المنهج له أثر كبير على العرب المسلمين من أهل اليمن، الذين اشتغلوا فيما بعد بالعلوم الإسلامية، وخاصة مؤلفي وعلماء بعض الشيعة، الذين سنأتي على دراسة منهجهم فيما بعد.

وفي سنة ١١٧٢م ظهر في اليمن مبشر يهودي أعلن عن نفسه: أنه هو المخلص، وهو جزء من سلالة للمخلصين، ظهرت في اليمن عندما عم الجهل والخرافات المجتمع اليمني، وانتشرت أعمال الشعوذة بين اليهود، فتوجه بعض عقلائهم إلى الحاخام اليهودي موسى بن ميمون الساكن حينها في مصر، طالبين منه المساعدة، فكتب إليهم رسالة نصيحة مهمة[1].

*****

(١) كاميليا أبو جبل: يهود اليمن، ص٢٠، دمشق ١٩٩٩م.

obeikandl.com

رسالة موسى بن ميمون إلى يهود اليمن

ولد ابن ميمون في قرطبة سنة ١١٣٥م، وتعلم التوراة والتلمود والفلسفة والطب وعلوم عصره على يد علماء يهود ومسلمين في الأندلس. وقد نزحت أسرته إلى الميرية، ثم إلى فاس في المغرب إبان حكم الموحدين. ثم نزحوا إلى عكا بفلسطين، واستقر بهم المقام أخيرًا بمصر، حيث كان صلاح الدين الأيوبي وزيرًا للخليفة العاضد الفاطمي سنة ١١٦٩م، وبعدها بقليل سقطت الدولة الفاطمية، وحلت محلها الدولة الأيوبية. وفي هذه المدة اختير موسى ابن ميمون أن يكون طبيبًا للوزير الأيوبي عبدالرحيم البيساني. وفي هذه المدة تولى ابن ميمون رئاسة الطائفة اليهودية، وكان عضوًا في المحكمة الشرعية اليهودية بالفسطاط، وقد تولى ابنه إبراهيم هذا المنصب بعد وفاته.

كتب ابن ميمون رسالة إلى يهود اليمن وهو في مصر بالعربية، وكلف طالبه اليمني يعقوب بن نافانئيل بتبليغ يهود اليمن بما جاء فيها من وصايا. أهمها الصبر على ما جاءهم من مكاره وإكراه الآخرين لهم، وعدم الدخول في مشاكسات مع المخالفين، وفيها بشرى لهم بانفراج الكرب وزوال الغمة عنهم، ويبدو أن رسائل ابن ميمون تلاحقت ليهود اليمن، ردًّا على استفساراتهم الدينية والدنيوية، واستمرت نحو عشرين سنة آخرها سنة ١١٩٤م إبان حكم المعز إسماعيل بن طغتكين، الذي قيل: إنه ضيق كثيرًا على يهود اليمن، وربما ألجأ بعضهم لاعتناق الإسلام بالقوة. وهذا كما يقول الهواري مخالفة لما أوصى به الرسول ﷺ معاذ بن جبل، حينما أرسله إلى اليمن: (**ألا يفتن يهودي عن يهوديته**)[1].

(١) محمد علي الهواري: يهود اليمن، ص٨٥، وما بعدها جامعة الملك سعود.

وبعد الفتح الإسلامي ودخول اليمن في الإسلام دخل كثير من يهود العرب اليمنيين الحميريين في الإسلام طواعية، حيث كان هؤلاء في الأصل عربًا متهودين أمثال كعب الأحبار وعبدالله بن سبأ ووهب بن منبه، وهؤلاء أمثلة وعينة من العرب المتهودين، الذين كان لهم أثر فكري كبير على المسلمين وعلى الفرق الإسلامية عمومًا خاصة الشيعة.

تظهر مؤلفات الحاخامات اليهود وما سمي من مخطوطات (جنيزا القاهرة)، وما كتبه علماء الزيدية في تلك المدة عن يهود اليمن وأفكارهم وليس بمستبعد أن يدخل كثير من يهود اليمن نتيجة الظروف والمتغيرات السياسية أن يدخلوا إلى الإسلام في الظاهر حماية لأنفسهم من العنت، وأن منهم من حسن إسلامه، ولكن منهم أيضًا فئة ظلت تتظاهر بالإسلام، ولكنها في الباطن على يهوديتها، فلما واتتها الفرصة في إظهار أفكارها وعقائدها القديمة قامت بالاندساس في الفرق الإسلامية، ومن خلالها أظهرت مقالاتها المعروفة التي سنتعرض لها في هذا البحث.

وقد ذكر أن يهود اليمن قد تعرضوا إلى أن يدخلوا الإسلام بالقوة والقسر، وذلك في أواخر القرن الثاني العشر الميلادي أيام حكم سلاطين بني همدان، وخاصة إبان حكم عبدالنبي بن مهدي المتعصب والمغالي ضد الجميع، حيث عرفت سيرته بما يشبه سيرة الخوارج، ورسالة ابن ميمون إلى أهل اليمن تعكس ذلك، وطلبه بأن يهاجر من يستطيع أو يصبر على البلاء[1]. ويبدو أن الطالب يعقوب بن نافانئيل يشير لابن ميمون خروج كثير من يهود اليمن عن ديانتهم ودخولهم في الإسلام قسرًا.

(١) المصدر السابق: ص٨٦- ٨٩.

وأشار الدكتور الهواري إلى حالات دخول يهود في الإسلام طواعية دون إكراه أيام حكم الأسرة السنية لمدينة تعز اليمنية (١٢٢٩- ١٤٥٤م). وفي رسالة ابن ميمون إلى يهود اليمن نصيحة لهم بالتمسك بالدين اليهودي، وأن الله قد اختصهم بهذا دون غيرهم، وقال: إن أعمال الطغاة أمثال نبوخذ نصر وأمثاله كان عملهم ضد الإرادة الإلهية.

ونلاحظ أنه في آواخر حكم صلاح الدين الأيوبي تمرد شيعة الشام ضده، وقيل: إنهم مالؤوا الصليبيين، فكان هذا سببًا للانتقام منهم، ولكن يلاحظ أن الانتقام هذا شمل يهود اليمن، فتعرضوا للمعاناة والمضايقة، فهل اشترك يهود الشام واليمن ضد صلاح الدين الأيوبي، والتقى الجميع مع الشيعة؟

وفي اليمن ظهر في هذه الفترة بين يهودهم مدعي النبوة مزج بين الإسلام واليهودية، يدل على ذلك ما أشار إليه ابن ميمون في رسالته المذكورة، وأنه نحا باللائمة على هذا المدعي، وحذر اليهود من اتباعه.

كما ذكر بأن عيسى المسيح ابن مريم سبق أن ادعى أنه نبي، وعدل شريعة التوراة، فانتقم الله منه، حيث سلط عليه من قتله، ثم يشبه ابن ميمون رسول الله محمدًا ﷺ أيضًا بمدعي نبوة، ووصفه بالمجنون في رسالته، وأنه طالب ملك، وأن النبي دانيال في التوراة قد ذكر ظهوره، وأنه سيغير في الشريعة، فقد حذر اليهود من ذلك؟ وأشار ابن ميمون في رسالته إلى أن أبناء إسماعيل (العرب) هم دائمًا وراء كل مصيبة تحل باليهود، وما ذلك إلا عقوبة من الله للخارجين من اليهود عن ملتهم وعن أقوال رؤسائهم[1].

(١) د. محمد الهواري: يهود اليمن، ص١٠٠- ١٠٨.

دراسة الدين اليهودي في اليمن

مع تمتع يهود اليمن بحرية العيش والتجارة والزراعة ولهم أماكنهم الخاصة، وقد سلموا في سائر الأوقات من أي اعتداء عليهم، عدا حالات استثنائية في تاريخهم، فقد وصفت حالهم بأنها أفضل من يهود أوروبا في العصور الوسطى.

فقد كان ليهود اليمن كنيسهم الخاص بهم في حيهم، حيث يتجه إليه الأطفال من الصباح وحتى المساء لمدارسة التوراة، ووصف كنيس كل حي بأنه يحتوي على ساحة فيها خزائن لأحذية المصلين، وفي الساحة غرفة مرتفعة مفروشة بالحصر للمصلين، وفي الغرفة أدراج تحتوي على صناديق فيها لفائف من حرير، تحوي التوراة مخطوطة مطوية على قضيب معدني، وصناديق أخرى تحتوي على بقية كتبهم وشروحهم، خاصة المشنا والجيمارا. وقد نقل عن شولوم الذي كتب عن يهود عدن أنهم يتجمعون فرقًا ليلًا يتدارسون الكتب المقدسة طوال الليل، وقد شاهد في كنيسهم الكتاب المقدس مكتوبًا على الرق. ويقرأ اليهود التوراة بشكل جماعي في الكنيس، وخاصة في أثناء وقت كل صلاة وبعدها في الصبح وفي الظهيرة والليل، وفي أيام السبت يسرع الأتقياء إلى الكنيس قبل الفجر لتلاوة المزامير، وعند الظهر يقرأ الجميع (الزوهار) و (الراشي) و(الشلخان).

وذكر أن حاخامات يهود اليمن والمدرسين في الكنيس كانوا يعملون لغيرهم في الحرف الزراعية، وقد وصف جاكوب سافير في رحلته إلى اليمن سنة ١٨٥٩م أحد رجال الدين، واسمه يوسف بن سعدية، بأنه على علم جيد بالتوراة حكيم، له اهتمام بالفلك وكتابة التعاويذ والرقى؟ يعطي وصفات أعشاب طبية، يلبس مثل الآخرين، ويعمل حدادًا في ورشة يملكها، ثم يذهب إلى الكنيس ويقوم بتدريس اليهود القادمين بالعربية. فأكثر التراث مترجم.

يهتم اليهودي اليمني بكتب الدين، ويحرص على اقتنائها في بيته خاصة من تعلم منهم القراءة، فكانوا ينسخون المخطوطات أو يستأجرون من ينسخ لهم، خاصة الأسفار الخمسة والزوهار؛ لأنه يستخدم في الصلاة.

يحرص اليهودي اليمني على تنشئة ابنه نشأة يهودية، حتى إنه يرفض أن يذوق ابنه الصغير حليب الأجنبية، ويقوم بختانه، وفي سنته الثانية يؤخذ إلى الكنيس، وفي السنة الثالثة يحلق شعر رأسه، فيحتفظ به طيلة عمره رمزًا ليهوديته، ويعلم الطفل آيات الشكر على المائدة، وفي السنة الرابعة يلحق بالمدرسة كمستمع، أو يؤخذ إلى الكنيس للدراسة، حيث يقضي فيه معظم ساعات النهار.

وفي العصور المتأخرة من حياة يهود اليمن عمدوا إلى بناء مدرسة لأولادهم بجوار كل كنيس وتسمى (خيدر)، وهي مأوى لكل من لا مأوى له. وقد يكون الخيدر مجرد غرفة للتدريس، حيث يأتي الأطفال صباحًا ثم يرجعون ظهرًا للغداء، ثم يرجعون للدراسة حتى المساء، فإذا ناهز البلوغ التحق بالعمل وربما كان مع أبيه، ويظل مترددًا على الكنيس لا يقطع دراسته بالكلية، ولا تذهب الفتيات إلى الدراسة، بل تقوم أمهاتهن بتدريسهن أمور دينهن في البيت، ولم يكن للمرأة اليهودية اليمنية حظ في العلم كما يبدو، فقد طبق المثل الشائع عندهم: (ليس من الصواب تعليم التوراة للفتاة). وربما كانوا يعدونها ليست مكلفة بأداء الطقوس الدينية[1].

(١) لمزيد من التفصيل انظر: يهود اليمن في كتاب الإبادة الجماعية. ص١٥٠- ١٥٧. إصدار جمعية ناطوري كارتا، ترجمة بلقيس الحضراني، مجلة ودراسات يمنية، العدد ١٧ سنة ١٩٨٤م، صنعاء.

الفصل الرابع

يهود العراق

يهود العراق القديم

إن أكثر يهود العراق يرجعون في أصولهم كما يعتقدون إلى أجدادهم العبرانيين، الذين عبروا الفرات إلى أرض كنعان، وأقاموا دولة يهودا والسامرة، إلى أن جاءهم نبوخذ نصر من العراق غازيًا، فهدم (أورشليم)، وجاء باليهود من فلسطين سبايا إلى أرض بابل، فاشتغلوا بالزراعة والحرف المختلفة، وكونوا مجموعات دينية في كثير من قرى ومدن العراق القديم، وكتبوا فيها تراثهم الديني، (خاصة التلمود البابلي) في القرن الثالث قبل الميلاد، فكان اليهود يدعون على بابل بالخراب لما أصابهم من مهانة الذل والأسر والشتات. وقد تنبؤوا بسقوط بابل يومًا، كما ورد في نبوءة أشعيا، وقد فرح اليهود بسقوط بابل واحتلال العراق من قبل الملك كورش ملك الفرس سنة ٥٣٨ ق.م[١].

وقد أمر الملك الفارسي كورش بإعادة بناء أورشليم لليهود، حيث ادعى أن الرب قد أمره بذلك، فتبعه من لا عمل له ولا تجارة من اليهود إلى أورشليم. ونعم اليهود في العراق بعيش كريم في ظل الحكم الفارسي لأسباب كثيرة، من أهمها مساعدتهم للفرس في غزو وإسقاط بابل، وكما ذكر أيضًا أن عطف كورش على اليهود يرجع أيضًا إلى التشابه بين ما ورد في عقيدة زرادشت واليهودية من تعاليم[٢].

(١) يوسف غنيمة: المصدر السابق، ص٦٠- ٧٥.

(٢) المصدر السابق: ص٨٠.

ولما استولى الإسكندر الأكبر على بابل سنة ٣٣١ ق. م. عامل اليهود بقسوة إلا أنهم توددوا إليه فيما بعد، ودخلوا جيشه محاربين مع المقدونيين.

لكن النفوذ الروماني لم يدم على بابل والعراق، حيث جاء البرثيون الفرس من خراسان، وأسسوا من جديد الإمبراطورية الفارسية بتوسيع أكبر ونفوذ أقوى. وكان ذلك منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، فعاد لليهود نشاطهم في العراق وفارس عمومًا في ظل هذه الدولة، التي اعتبرتهم عيونًا لها ضد النفوذ الروماني.

ويذكر في القرن الأول للمسيح أن أمير بلدة (حزة) قرب أربيل قد دخل في دين اليهودية، وأن أمه هيلانة قد أرسلت مساعدة لليهود في أورشليم إبان القحط الذي أصابهم.

وتذكر الروايات أن يهود بلدة دعة على الفرات كانوا يرسلون مساعداتهم المادية إلى أورشليم، وكان بها مدرسة (سورا) الشهيرة، وكذلك اشتهرت مدرسة مونية بومبا ديا (جبة)، لكن العداء الطبيعي بين البابليين العراقيين واليهود كان مستمرًا، يظهر ويختفي في حال القوة والضعف من الطرفين، وتكون في هذه المدة عصابات يهودية هاجمت بابل والسريان، مما أغضب اليونان في (سلوفيه) (وبمباديا)، فقتلوا من اليهود أعدادًا كبيرة تشتتوا خلالها في المدن أفرادًا وجماعات صغيرة، وحينما استولى الرومان سنة ١١٥ بعد الميلاد على المدائن عاصمة الدولة الفارسية، قاموا بالتنكيل باليهود بوصفهم حلفاء لأعدائهم الفرس.

وفي سنة ١٣٣ بعد الميلاد ظهر بركوكوبا، وادعى بنو اليهود أنه المسيح المنتظر، وبعد انتشار المسيحية بادر يهود العراق إلى اعتناق المسيحية في ظل

الحكـم الروماني خاصة، حماية لهم من بطش الرومان المتقدم، فكان أول معتنقي المسيحية هم من اليهود[1].

ولكـن الساسانيين الفرس استعادوا نفوذهـم على المدائن، واتخذوها عاصمة لهم، فاستعاد يهود العراق حريتهم المفقودة طوال المدة السابقة.

وكان اليهود في الدولة الساسانيـة يدفعون الضرائب والجزية للدولة، وكان رئيسهـم رأس الجالـوت مقربًا لدى البلاط الساساني في المدائن، فهو الذي يباشر منصب القضاء بين اليهود حسب شريعتهم.

كانت اليهودية معروفة لعرب الجاهلية خاصة في كل من يثرب واليمن، حيـث تذكر الروايات أن يهود اليمن كانـوا قد جاؤوا إلى اليمن من أورشليم بعـد سقوط مملكـة سليمان الحكيـم، وقيـل: إن أول انتشـار اليهودية كان في عهـد ملـوك حمير، قيل: إن الملـك ذا نواس كان أول مـن اعتنق اليهودية ونشرهـا في قبائل حمير ونمير وكنانة وبني الحارث بن كعب وكندة[2]، وكان مـن بين العرب اليهود شعـراء عرف وشاع شعرهم بـين العرب، منهم أوس ابـن دني من بني قريظة. والربيع بن الحقيـق وكعب بن الأشرف وأبو الأناد اليهودي، كما كان منهم صاحب القصر الأبلق الشاعر السموءل بن عاديا.

وعنـد فتـح المسلمـين للعـراق دخـل كثـير مـن اليهـود في الإسلام، وبقـي بعضهم علـى يهوديته يدفع الجزيـة، واستعمل بعض عمـال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يهودًا كانوا يحسنون الكتابة، منهم عامله أبو موسى الأشعري والي عمـر على البصرة، وقد كانت الحيرة في هـذا الوقت موطنًا لكثير من

(١) المصدر السابق: ص٩٠ - ٩٤.

(٢) يوسف غنيمة: المصدر السابق ص١١٨.

يهـود العـراق ونصاراه. وقد ذكر الواقدي أنه في سنـة ٢٠ هـ تم إجلاء يهود نجـران إلى الكوفة، وقد عمل اليهود بالتجارة، وأصبح منهم أثرياء، يستلف منهم الخلفاء بعض المال إذا نقصهم[١].

في العصـر العباسي في بغـداد والكوفة والبصرة تمتـع اليهود بحرية العقيدة والعمل والتجارة، حتى وصل بهم الحال إلى أن يتنافسوا فيما بينهم على منصب رأس جالوت، وقد اتفق أن عنان اليهودي الذي شاغب على رأس الجالـوت سجن مع الإمام أبي حنيفة، حيـث توسط له فيما بعد، وأنقذه من القتل[٢]

وقـد مر يهود العراق بعده بأدوار مـن الحرية والضيق، وانقسموا على أنفسهم خاصة ما يسمون بالقرائين والربانيين، وهم جماعة الالتزام بالنص النوراني فقط، وعلى خلافهم جماعة الأخذ بالرأي والتأويل.

وفي عهد المأمون كان لهم نشاط علمي وديني، اشتركوا مع بقية الفرق في الترجمة التي كثرت في عهد المأمون.

وكان من أطباء العراق يهود خدموا الخلفاء والأمراء، منهم فرات بن شحنانـا الذي خدم الحجـاج بن يوسف. ومن المنجمين ما شاء الله اليهودي الـذي خدم عند المنصور، ومـن الشعراء أبو عبيدة اليهـودي صاحب كتاب المثالب. ومن علماء النحو هارون بن موسى البصري اليهودي.

ومما تقدم يتضح تاريخيًّـا أن اليهودية دين وعقيـدة لها زمن حدوث معروف للباحثين، وأمـا الإسرائيليون منهم أحفاد إسرائيل (إسحاق) الذي

(١) المصدر السابق: ص١٢٢.

(٢) المصدر السابق: ص١٢٣.

يرجع نسبه إلى إبراهيم الخليل عابر الفرات من العراق إلى أرض كنعان (فلسطين)، فكان الكنعانيون وهم شعب سام يقطنون هذه البلاد من أمد طويل، رجع إليهم الغزاة الإسرائيليون الخارجون من مصر، فاحتلوا بلادهم إلى أمد، وهذه حقيقة تاريخية أشار إليها أكثر المؤرخين، منهم المؤرخ البريطاني توينبي، مما يفضح ادعاء اليهود بأن فلسطين هي أرض أجدادهم، فقد كانت السيادة للكنعانيين على مر قرون التاريخ ما عدا غفلة من الزمن.

إن وادي الرافدين كان قديمًا أول مهد للحضارات الإنسانية القديمة، وأول أرض عرفت الكتابة والتدوين، وهي أهم وسيلة تعرفنا من خلالها على السومريين والبابليين والأكديين، ومن الكتابة تلك علمنا أول الشرائع الوضعية وهي شريعة حمورابي أول قانون إنساني مدون، ويعد سجلاً للأعراف والعادات والأنظمة التي عن طريقها تم ضبط المجتمع القديم، أضيفت عليها عادات وأعراف وعقائد أمم شتى غزت العراق في العهد القديم، واستوطنت بعض أجزاء منه، فالتقت بذلك العقائد الفارسية القديمة والهندية والسنسكريتية، كل ذلك دفع الدارسين إلى القول: إن ما دونه يهود العراق في بابل وما حولها بخصوص شروحات التوراة وتأويل نصوصها، أو ما تعلق بتعاليم الربان وأقوالهم، كان ذلك تدوينًا شاملًا لما تركته تلك الأقوام القديمة في وادي الرافدين بدليل اختلاف التلمود البابلي عن التلمود الأورشليمي، وتشابه تأويلات وتفسيرات ربان اليهود العراقيين القدماء مع عادات وأعراف شعوب وادي الرافدين جنوبه وشماله.

كما يدل على ما ذكرنا قبور ومدافن من ذكر أنهم من أنبياء اليهود أو من رجال دينهم المؤثرين، منهم ما يذكر عند قبر عزرا أو العزير الموجود في ناحية العزير على دجلة، ويذكر اليهود أنه كان كاتبًا لشرائعهم ورائدًا لإرجاعهم من

أورشليم إلـى أرض سومر واكد، هكذا يدعون بوصفهم أبناء إبراهيم الخليل، وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان هذا القبر في مادة «ميسان».

ومن قبور اليهود القديمـة قبر حزقبال أو ما يدعى بالنبي ذي الكفل، الموجود في ناحية الكفل قرب الفرات، وتذكر الإسرائيليات أن النبي ذا الكفل قتل من قبل بعض اليهود، ودفن في أرض أو في مغارات إبراهيم الخليل، وهي نفس المغارة التي دفن فيها سام جد إبراهيم، كما تدعي الأسطورة.

ذكـره ياقـوت في معجمه، وقـال: إنه قرب الحلة، ومنهـا قبر يوشع في جانـب الكـرخ من بغداد، وبقربه قـبر الشيخ معروف الكرخـي، ويلقب عند اليهود بالكاهن العظيم.

ومنها أيضًا قبر الشيخ إسحاق الغاووني في الرصافة ببغداد قرب سوق حنـون، ويقال: إن هـذه المنطقة كانت حارة لليهود، وفيهـا كنيس باسم هذا الشيـخ، ويذكر اليهود أن هذا الكنيـس كان رهين صيرفي كان يعمل صيرفيا لـدى الإمام علي بن أبـي طالب كرم الله وجهه، ويعد هذا الكاهن من شراح التـوراة الذين توسعوا في شرحها، وهو من طائفةالغاوونيم، الذي كان منهم أساتذة في مدرسة بومبادينا وسورا مع كهان النصارى الآخرين.

ومنها فرار ناحـوم الألقوشي. وقيل عنه: إنه كان قد تنبأ بزوال نينوى (الموصـل) قديمًا عاصمة الآشوريين، ذكر مرقـده السائح نيبور، وقال عليه كنيس يهودي قديم[1].

هذا، وللطائفة الموسوية اليهودية تاريخ طويل في العراق الحديث خاصة بعد تأسيس الدولة العراقية، وقد تبوأ اليهود الصدارة في التجارة والصيرفة

(١) يوسف غنيمة: المصدر السابق: ص٢٥٠ وما بعدها.

وسـادوا بما لهم من علاقـات مع شعوب الدول الأوروبيـة خاصة تلك الدول التـي كانت تخطط، وتقـود الحضارة الغربية، وليس مـن هدف هذا البحث تتبع آثار وعقائد اليهود في العصر الحديث[1].

(١) د. حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي. ص٢٢- ٢٥، بيروت ١٩٩٩م.

obeikandl.com